

ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية وموافقتها في القرآن الكريم

تأليف

دكتور

فهمي حسن النمر

مدرس النحو والصرف
بجامعة الأزهر

١٩٨٥

دار الثقافة
للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل ممدوق بالعجالة
ت: ٠٩١٦٠٧٦ القاهرة

ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية ومتوافقتها في القرآن الكريم

تأليف

دكتور

فهمي حسن النمر

مدرس النحو والصرف
بجامعة الأزهر

١٩٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله مصرف الأمور على النحو الذى أراد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من نطق بالضاد ، وعلى آله وصحبه الهادين والمرشدين ، والرافعين لقواعد الدين .

وبعد : -

فهناك كثير من المسائل النحوية فى حاجة الى دراسة وتحقيق وتمحيض ، حتى نصل الى رأى الأمثل فيها ، ونبتعد عن كل ما يشوبها من غموض .

ومن القضايا الجديرة بالدراسة والبحث قضية المجاورة ، وقد اهتم النحاة بهذه الظاهرة الى الحد الذى جعل ابن جنى - فى الخصائص - يعقد لها بابا مستقلا تحت عنوان : باب فى المجاورة .

والبحث فى مثل هذه القضية يحتاج الى جهد مضاعف ، نظرا لتفرقها فى بطون أمهات الكتب ، وتعلقها بالعديد من المسائل النحوية والتصريفية ، بالإضافة الى تعدد آراء العلماء فى ذلك .

فنهم من أجاز الحكم بالمجاورة ، وجعلها قياسا ، ومنهم من منعها وأول ما أوهم ظاهرة وجودها ، ومنهم من قصرها على المسموع ولم يجز فيها القياس .

وكذا اختلفت آراؤهم فى تطبيق هذه الظاهرة على بعض آيات من القرآن الكريم ، ففريق يرى أن الجر على الجوار واقع فى القرآن وهو كثير ، وفريق آخر يمنع الجر على الجوار فى القرآن ، ويرى ضرورة صونه من هذه الظاهرة .

ولقد عنانى أمر هذه القضية كثيرا ، وشغلنى تحقيقها والبحث
عن الحقيقة فيها . وقد قرأت ما كتب عنها سواء فى كتب النحو والصرف ،
أو فى أمهات كتب التفسير .

وبعد ذلك ذكرت ما قيل حول هذا الموضوع من آراء مؤيدة
ومعارضة ، ورجحت ما ظهر لى رجحانه مؤيدا ما أقول بالدليل .
وقد جعلت البحث فى تمهيد وأربعة فصول :

ذكرت فى التمهيد : تعريف المجاورة لفظة واصطلاحا ، وبيان
حركة المجاورة .

أما الفصل الأول فقد جعلته تحت عنوان : موقف العلماء من
القول بالمجاورة .

والفصل الثانى : خصصته للمجاورة فى الدراسات النحوية .
وأدرجت تحته سبعة مباحث :

المبحث الأول : الجر على الجوار فى النعت .

المبحث الثانى : الجر على الجوار فى التوكيد .

المبحث الثالث : الرفع على المجاورة .

المبحث الرابع : المجاورة فى باب الجوازم .

المبحث الخامس : المجاورة فى باب التنازع .

المبحث السادس : المجاورة فى باب الإضافة .

المبحث السابع : المجاورة فى الأحوال والأزمنة .

والفصل الثالث : جعلته للمجاورة فى المسائل التصريفية .
واشتمل على الأمور الآتية :

١ - الجوار بين الواو والكسرة .

٢ - الجوار بين عين الكلمة ولامها .

٣ - قلب الحرف للتناسب .

٤ - قلب الواو المجاورة للطرف همزة •

٥ - مجاورة الواو للضمة •

والفصل الرابع : خصصته للمجاورة فى القرآن الكريم • وأدرجت
تحتة ثلاثة مباحث :

البحث الأول : الجر على الجوار فى العطف •

البحث الثانى : الجر على الجوار فى النعت •

البحث الثالث : الجوار بين الواو والضمة •

وبعد ..

فأله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع
به انه على ما يشاء قدير ، وبالأجابة جدين ٥

تمهيد

المجاورة فى اللغة :

جاء فى الصحاح (١) : (الجار : الذى يجاورك ، تقول : جاورته مجاورة وجوارا ، وتجاور القوم واجتوروا بمعنى ، والمجاورة : الاعتكاف فى المسجد ، وفى الحديث : « كان يجاور فى العشر الأواخر » (٢) . وامرأة الرجل جارته ، والجار : الذى أجبرته من أن يظلمه ظالم .

قال الهذلى (أبو جندب) :

١ - وكنت اذا جارى دعاء لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق متزى (٣)
وأجاره الله من العذاب : أنقذه

المجاورة فى الاصطلاح :

يقصد بمصطلح الجر بالمجاورة أن عامل الجر ليس الاضافة أو حرف الجر ، وإنما مجاورة الاسم لما هو مجرور بالاضافة أو بحروف .

وهذا هو معنى قول ابن الحاجب (٤) (وقد يوصف المضاف اليه لفظا والنعت للمضاف اذا لم يلبس ، ويقال له : الجر بالجوار ، وذلك

(١) ٢ : ٦١٧ ، ٦١٨ (جور) .
(٢) انظر صحيح البخارى ٤ : ٢٧١ - طبعة السلفية . وروايته فى البخارى « كان يعتكف . . . » .
(٣) مضوفة : أى امر ضافة ، أى نزل به وشق عليه ، والمضاف : الملجأ .

انظر ديوان الهذليين القسم الثالث ص : ٩٢ .
(٤) انظر الكافية بشرح الرضى ١ : ٣١٨ .

للاقتصال الحاصل بين المضاف والمضاف اليه ، فجعل ما هو نعت الأول
معنى نعت الثانى لفظاً) •

حركة المجاورة :

حركة المجاورة ليست حركة بناء ولا اعراب ، وانما هى حركة
اجتلبت للمناسبة بين اللفظين المتجاورين ، فلا تحتاج لعامل ، لأن
الاتيان بها انما هو مجرد أمر استحسانى لفظى لا تعلق له بالمعنى(٥) •

فـ (خرب) فى قولهم : هذا جحر ضب خرب – صفة لـ (جحر)
فكان حقه الرفع ولكن جـر لمجاورته الجـرور ، فهو مرفوع وعلامة رفعة
ضممة مقدرة علم. آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة
المجاورة •

(٥) انظر حاشية الدسوقي على المغنى ٢ : ٣٠٣ •

الفصل الأول

موقف العلماء من القول بالمجاورة

موقف العلماء من القول بالمجاورة

اختلفت كلمة العلماء حول ظاهرة الجر على الجوار ، فمنهم من أجاز هذه الظاهرة ، ومنهم من رفضها .

ومن العلماء الذين أجازوا ذلك سيبويه ، وابن مالك ، وابن أجروم وابن هشام .

قال سيبويه (١) (ومما جرى نعتا على وجه الكلام « هذا جحر ضب خرب » فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يجره ، وليس بنعت للضب ، ولكنه نعت للذى أضيف الى الضب ، فجره لأنه نكرة كالضب ، ولأنه فى موضع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد) (٢) .

وقال فى موضع آخر من كتابه (٣) : (وقد حملهم قرب الجوار على أن جروا « هذا جحر ضب خرب » ونحوه فكيف ما يصح معناه) ؟

فأنت ترى أن سيبويه ، وإن رأى أن الأفصح هو رفع (خرب) فى المثال المتقدم ، وإن هذا هو الذى عليه أكثر العرب وأفصحهم إلا أنه لم يرفض الجر ولم يحكم عليه بالشذوذ أو الغلط .

وقال ابن مالك (٤) فى شرح الكافية : (ثم نبهت على النعت الذى يسميه النحويون نعتا على الجوار نحو قولهم (هذا جحر ضب خرب)

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر اللقب بسيبويه ، مات سنة ١٨٨ هـ .

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ .

(٣) ١ : ٦٧ ، ويقصد بقوله (فكيف ما يصح معناه) أن أعمال الثانى فى باب التنازع أولى لقربة ووضوح معناه .

(٤) هو أبو عبد الله محمد جمال الدين بن هبة الطائى توفى سنة ٦٧٢ هـ بدمشق .

فخفض (خرب) لأنه نعت (ضرب) فى اللفظ لمجاورته له وانما هو فى المعنى للجر ، ولا يفعل مثل هذا الا اذا أمن اللبس(٥) .

وابن أجروم الصنهاجى(٦) فى مقدمته المسماة بالأجرومية يتحدث عن ظاهرة الجر ويرى أن له أسبابا أربعة هى الجر بالحرف ، والجر بالاضافة ، والجر بالتبعية ، والجر بالمجاورة(٧) .

وقال ابن هشام(٨) فى المغنى : (والذى عليه المحققون أن خفض الجوار يكون فى النعت قليلا . رضى التوكيد نادرا ، ولا يكون فى النسق ، لأن العاطف يمنع من التجاور)(٩) .

المستعون لهذه الظاهرة :

من رفض الجر على الجوار وأول ما أهم ظاهرة وجودها ابن جنى والسيرافى(١٠) .

قال ابن جنى(١١) فى الخصائص : (فما جاز خلاف الاجماع الواقع فيه منذ بدىء هذا العلم ، والى آخر هذا الوقت ، ما رأيته انا فى قولهم : هذا جحر ضرب خرب فهذا يتناوله آخر عن أول ، وتال عن ماض على أنه غلط من العرب ، لا يختلفون فيه ، ولا يتوقفون عنه ، وأنه من الشاذ الذى لا يحمل عليه ، ولا يجوز رد غيره اليه) .

واما انا فعندى أن فى القران مثل هذا الموضع نيفا على ألف

(٥) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١١٦٦ - ١١٦٧ .

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن الصنهاجى نسبة الى صنهاجة قبيلة بالمغرب المشهور بابن أجروم توفى بفاس سنة ٧٢٣هـ .

(٧) انظر شرح الكفراوى على متن الأجرومية - مطبعة عيسى الحلبي ص : ١١٤ .

(٨) هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصارى مات بالقاهرة سنة ٧٦١هـ .

(٩) انظر مغنى اللبيب ٢ : ٦٨٣ .

(١٠) يفهم من تأويل ابن جنى والسيرافى للأمثلة التى ظاهرها يفيد الجر على الجوار أنهما يمتنعان الحكم بالمجاورة .

(١١) هو أبو الفتح عثمان ابن جنى توفى ببغداد سنة ٣٩٢هـ .

موضع . وذلك أنه على حذف المضاف لا غير ، فاذا حملته على هذا الذى هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقيل .

وتلخيص هذا أن أصله : هذا جحر ضب خرب جحره ، فيجرى (خرب) وصفا على (ضب) وإن كان فى الحقيقة للجحر ، كما تقول : مررت برجل قائم أبوه ، فتجرى (قائما) وصفا على (رجل) ، وإن كان القيام للأب لا للرجل لما تضمن من ذكره (١٢) .

والأمر فى هذا أظهر من أن يؤتى بمثال له ، أو شاهد عليه ، فلما كان أصله كذلك حذف الجحر المضاف الى الهاء ، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت ، لأن المضاف المحذوف كان مرفوعا ، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع فى نفس (خرب) فجرى وصفا على (ضب) وإن كان الخراب للجحر لا للضب على تقدير حذف المضاف على ما رأينا . وقلت آية تخلو من حذف المضاف ، نعم وربما كان فى الآية الواحدة من ذلك عدة مواضع .

فاذا أمكن ما قلنا ، ولم يكن أكثر من حذف المضاف الذى قد شاع واطرد كان حمله عليه أولى من حمله على الغلط الذى لا يحمل غيره عليه ، ولا يقاس به (١٣) .

وقال السيرافى (١٤) : (رأيت بعض النحويين من البصريين قال فى « هذا جحر ضب خرب » قولا شرحته وقويته بما يحتمله زعم هذا النحوى ، أن المعنى : هذا جحر ضب خرب الجحر .

(١٢) أى ضميره يريد أن المسوخ لجرى قائم وصفا للرجل وهو ليس بوصف له فى الحقيقة بل الموصوف حقيقة الأب هو تضمن الأب ذكر الرجل .

(١٣) انظر الخصائص ١ : ١٩١ .

(١٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله نشأ بسيراف من بلاد ، وتوفى ببغداد سنة ٣٦٨ هـ .

(١٥) يعنى ابن جنى ، فلا ضير أن يكون رأى ابن جنى عرف فى حياة السيرافى ، واستحق منه العناية بذكره ، فقد تعاصرا دهرًا ، لأن السيرافى مات سنة ٣٦٨ هـ ، وابن جنى سنة ٣٩٢ هـ .

والذى يقوى هذا انا اذا قلنا : خرب الجحر صار من باب حسن الوجه ، وفى خرب الجحر مرفوع ، لأن التقدير : خرب جحره ، ومثله ما قاله النحويون : مررت برجل حسن الأبوين لاقبحين(١٦) .

والأصل فى مثال السيرافى المتقدم : مررت برجل حسن الأبوين لا قبيح أبواه ، ثم جعل فى (قبيح) ضمير الأبوين قثنى لذلك ، وأجرى على الأول فخفض .

وقد اعترض أبو حيان وابن هشام على ما ذهب اليه ابن جنى والسيرافى .

قال أبو حيان(١٧) : (ومذهبها خطأ من غير ما وجه ، لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصصا بالضرب ، والضرب مخصص بخراب الجحر المخصص بالاضافة الى الضرب .

فتخصيص كل منهما متوقف على صاحبه وهو فاسد للدرر ، ولا يوجد ذلك فى كلام العرب ، أعنى لا يوجد مررت بوجه رجل حسن الوجه ، ولأنه من حيث أجرى (الخرب) صفة على (الضرب) لزم ابران الضمير لثلا يلتبس .

ولأن معمول هذه الصفة لا يتصرف فيه بالحذف لضعف عملها فاما قول الشاعر :

٢ - ويضحك عرفان الدروع جلودنا

إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف

فلا يريد كاسف الشمس ، فيكون قد حذف معمول الصفة وان كان قد ذهب اليه بعضهم .

وانما هو عندنا صفة لليوم نفسه ، لأن الكسوف يكون فيه . فيكون نحو قولهم : نهارك صائم ، وليلك قائم ، ولأن هذه الصفة لا يجوز نقل الضمير اليها حتى يصح نسبتها الى الموصوف على طريق الحقيقة .

(١٦) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ .

(١٧) هو محمد اثير الدين يوسف الغرناطى توفى بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ .

الا ترى أنه لا يصح عندنا مررت برجل حائض البنت ، لأن الحيز
لا يكون للرجل ، وكذلك (الخرّب) لا يكون للضب) (١٨) .

وقال ابن هشام فى المغنى (١٩) : (ويلزمها استتار الضمير مع
جريان الصفة على غير من هى له ، وذلك لا يجوز عند البصريين وان
أمن اللبس ، وقول السيرافى : ان هذا مثل : مررت برجل حسن الأبوين
لا قبيحين مردود ، لأن ذلك انما يجوز فى الوصف الثانى دون
الأول) .

ومعنى قول ابن هشام المتقدم أن قياس (خرّب) من قولهم : هذا
جحر ضب خرب على (قبيحين) يعد قياسا مع الفارق ، لأن (خرّب) ليس
وصفا ثانيا مثل (قبيحين) والذي جرى عليه الاضمار والحذف والجر
على الجوار انما هو الوصف الثانى وهو (قبيحين) كما تقدم اثناء
شرحنا لأصل هذا المثال .

ولو أن السيرافى وابن جنى قصرا مثل هذه الأساليب الواردة
عن العرب على السماع ، وعدم جواز القياس فيها ، لكان هذا اقرب
وأيسر من هذا الغموض .

وقد تقدم أن سيبويه قد ذكر فى كتابه أن الوجه فى (خرّب) هو
الرفع ، وهو كلام أكثر العرب ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ،
وعلى هذا يكون الأمر ظاهرا وواضحا وهو أن الرفع أجود وأفصح من
الجر ، لأن الرفع هو لغة أكثر العرب ، وأما الجر وإن كان واردا
فهو دون الأفصح ، فيكون مقصورا على السماع ، وبهذا نخرج من دائرة
التأويل والحذف والاضمار .

المجاورة ووقوعها فى القرآن :

ورود الجر على الجوار فى القرآن أو عدمه محل خلاف بين
العلماء ، فمنهم من أجاز ، ومنهم من رفض .

وسنتعرف على أقوال هؤلاء العلماء مفصلة عند الكلام على الفصل
الخاص بالمجاورة فى القرآن الكريم .

(١٨) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ .

(١٩) انظر مغنى اللبيب ٢ : ٦٨٤ .

الفصل الثاني

المجاورة في الدراسات النحوية

المبحث الأول

الجر على الجوار في النعت

شروط الجر على الجوار عند الصين :

اشترط الخليل (١) - رحمه الله - لجواز الجر على الجوار توافق المضاف والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتانيثا ، وتعريفا وتنكيلا .

قال في الكتاب (٢) : (لا يقولون الا « هذان جحرا ضب خريان » (٣) من قبل أن الضب واحد ، والجحر جحران .

وانما يغلطون اذا كان الآخر بعدة الاول ، وكان مذكرا مثله او مؤنثا ، وقالوا : هذه جحرة (٤) ضباب خربة ، لأن الضباب مؤنثة ، ولأن الجحرة مؤنثة والعدة (٥) واحدة فغلطوا (٦) .

واما سيبويه فهو يجيز الجر على الجوار سواء اتفق المضاف اليه في الافراد والتثنية أو لم يتفقا ، فهو يجيز « هذا جحر ضب خر » لاتفاق المضاف والمضاف اليه في الافراد ، ولوروده عن العرب هكذا ، ويجيز - أيضا - « هذان جحرا ضب خريين » بجر (خريين) مع أن

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي مات بالبصرة سنة ١٧٥ هـ .

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ .

(٣) فلا يجوز عند الخليل (خريين) بالجر على الجوار ، لعدم اتفاق المتضايقين في التثنية .

(٤) الجحرة جمع جحر ، ويجمع أيضا على أبحار .

(٥) العدة : الجماعة ، وعدة المرأة أيام اقراءتها ، والمراد بها هنا اتفاق المتضايقين في الدلالة على الجمع .

(٦) أي جعلوا (خربة) صفة لـ (ضباب) فجروها ، وإن كان حقها الرفع ، لأنها صفة لـ (جحرة) المرفوعة ، وصح ذلك الغلط ، لاتفاق المتضايقين في الدلالة على الجمع .

المضاف هو (جحرا) مثنى ، والمضاف اليه وهو (ضب) مفرد . ويرى أنه لا فرق بين الثانى والأول الا فى البيان . وأما الاتفاق بين المضاف والمضاف اليه فى الجمع فلا يشترطه سيبويه .

قال سيبويه فى الكتاب (٧) : (وهذا قول الخليل - رحمه الله - ولا نرى هذا (٨) والأول (٩) الا سواء ، لأنه اذا قال : هذا جحر ضب متهدم ، ففيه من البيان انه ليس بالضب مثل ما فى التثنية من البيان (١٠) .

ومما نقدم نعلم أن سيبويه قد أجاز الجر على الجوار عند اختلاف المتضايفين فى التثنية ، فهو يقبل : هذان جحرا ضب خربين ، جحر (خربين) بخلاف الخليل . فإنه لم يجز فى (خربين) الا الرفع . والخليل يرى أنه يلزم لصحة الجر على الجوار اتفاق المتضايفين فى الجمع ، ولم يجز ذلك سيبويه .

والخليل يشترط توافق المتضايفين فى التذكير والتأنيث ، وسيبويه لا يشترط ذلك .

وذهب ابن الحاجب (١١) فى كافيته (١٢) الى أن سيبويه استشهد - على جواز التخالف بين المتضايفين فى التذكير والتأنيث - بقول الخطيئة :

٣ - فاياكم وحيمة بطن واد هموز الناب ليس لكم بسى (١٢)
فان (هموز) نعت لـ (حيمة) المنصوبة ، وجر لجاورته لاحد المجرورين وهو بطن أو واد .

(٧) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ .

(٨) وهو قول الخليل : « هذان جحرا ضب خربان » .

(٩) وهو : هذا جحر ضب .

(١٠) يريد أن تثنية المضاف تقيد أن الجحر جحران ، والضب واحد ، وأما فى الافراد ، فالضب واحد ، والجحر واحد ، وهذا هو الفرق بين التثنية والافراد .

(١١) هو أبو عمرو عثمان جمال الدين المشهور بابن الحاجب توفى مالا سكندرية سنة ٦٤٦هـ .

(١٢) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ١ : ٣١٨ .

وعينه ابن جنى فى شرح تصريف المازنى ، فقال (١٤) : (جسر
(هموز) وهو من صفة الحية لجاورته لواد) .

وقد اختلف المضاف والمضاف اليه تذكيرا وتانيثا ، فان (حية)
مؤنثة وما بعدها مذكر .

وقيل : ان كلا من الحية وما بعدها مذكر ، أما الحية فقد قال
صاحب الصحاح (١٥) .

(الحية تكون للمذكر والأنثى ، وانما دخلته الهاء ، لأنه واحد من
جنس ، كبطة ودجاجة ، على أنه قد روى عن العرب : رأيت حيا على
حية ، أى ذكرها على أنثى ، وفلان حية ذكر) .

وأما (البطن) فقد قال صاحب الصحاح (١٦) - أيضا : (البطن خلاف
الظهر وهو مذكر ، وحكى أبو حاتم عن أبى عبيدة أن تانيثه لفة) .

وأما الوادى فهو مذكر لا غير ، فيجوز للخليل أن يدعى توافق
المضاف والمضاف اليه تذكيرا بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ،
وكذلك (هموز) فانه (فعل) يوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم الا ان يكتفى
بالتخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيين .

(١٣) (أياكم) محذر و (حية) محذر منه ، وهما منصوبان
بفعلين ، أى بعدوا أنفسكم ، واحذروا الحية ، فيكون العطف من قبيل
عطف الجمل ، الأولى تشتمل على جملة المحذر ، والثانية تشتمل على
جملة المحذر منه . وأراد الحطية بالحية نفسه . والمعنى : أنه يحمى
ناحيته ، ويتقى منه ، كما يتقى من الحية الحامية لبطن وأيديها
المائعة منه .

والوادی : المطمئن من الأرض . والهموز : فعل من الهمز بمعنى
الغمز والضغط . (ليس لكم بسى) أى لا تستقون معه بل هو أشرف منكم ،
يقال : فلان سى فلان اذا كان مثله .

انظر الديوان ص : ١٣٩ - الخزانة ٢ : ٣٢٦ - المنصف ٢ : ٢ .

(١٤) انظر المنصف ٢ : ٢ .

(١٥) انظر الصحاح ٦ : ٢٣٢٤ (حيا) .

(١٦) الصحاح ٥ : ٢٠٧٩ (بطن) .

والواقع أن سيبيويه لم يستشهد بالبيت المتقدم ، وإنما استشهد
بقول العجاج :

٤ - كأن نسج العنكبوت المرملة (١٧)

وجه الاستدلال به أن (العنكبوت) مؤنث و (الرملة) مذكر ، لأنه
وصف للنسيج وقد اختلفا تأنيثا وتذكيرا .

واللخيل أن يمنع هذا أيضا فإن (العنكبوت) قد جاء مذكرا
- أيضا - وقد نقل ذلك عن العرب ، قال الشاعر :

٥ - على مطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها (١٨) .

وعلى تسليم أنها في البيت مؤنثة ، فإنه تأنيث ليس بعلامة أن
ليس مؤنثا بالتاء ولا باحدى الألفين المقصورة أو المدودة ، فأشبهه
التذكير إذ لم يظهر فيه من التنافر ما يظهر في التثنية ، فإذا صح أن
تقول : هذان جحرا ضب خربين ، مع اختلاف المتضايقين في التثنية ،
فليصح هنا من باب أولى .

وكل ما تقدم من خلاف بين سيبيويه والخليل إنما هو على رواية
(الرملة) بفتح الثانية - وأما على رواية (الرملة) بكسر الميم ، فهي نعت
للعنكبوت على ما يجب ، والمعنى : العنكبوت الناسج ، لأن (الرملة)
بفتح الميم الثانية معناه المنسوج وليس من صفات العنكبوت .

(١٧) وبعده : على ذرى قلادة المهمل

سبب كتان بأيدي الغسل

(الرملة) معناه المنسوج - والقلام : ضرب من النبت - المهمل :
المدلى . والسبب : جمع سب وهو ثوب من كتان أبيض - والغسل :
جمع غاسل وغاسلة .

والمعنى : أن العنكبوت قد نسجت على القلام الذي حول هذا
الماء ، والشاعر قد شبه ما نسجت العنكبوت على هذا الماء بثوب رقيق
من الكتان .

انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ - شرح انبات سيبيويه للسيراقى ١ : ٤٩٥
الديوان ص : ٢٤٣ - الخزانة ٢ : ٣٢١ .
(١٨) (هطال) : جبل . وانظر معاني الفراء ٢ : ٣١٧ .

وقول من ذهب الى أن الجوار لا يكون الا مع النكرة مرئود بقول
أبي ثروان (١٩) : (كان والله من رجال العرب المعروف له ذلك بخفض
(المعروف) على الجوار) (٢٠) .

ومن أمثلة الجر على الجوار في النعت قول ذى الرمة :

تريك سنة وجهه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب (٢١)

فـ (غير) نعت لـ (سنة) المنصوبة ، وجر للمجاورة .

قال الفراء (٢٢) : (قلت لأبي ثروان ، وقد أنشدني هذا البيت
بخفض : كيف تقول : تريك سنة وجهه غير مقرفة ؟ قال : تريك سنة وجهه
غير مقرفة . قلت له : فأناشد فخفض (غير) فأعدت القول عليه ، فقال :
الذي تقول أنت أجود مما أقر . نا ، وكان أنشاده على الخفض) (٢٣) .

وقال دريد بن الصمة :

٦ - فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياحى فى النسيج الممدد

(١٩) هو أبو ثروان ، أحد بنى عكل ، وأسنه الوحشى ، وهو
أعرابى فصيح تعلم فى البادية ، وله من الكتب : خلق الفرس ، وكتاب
معانى الشعر . انظر معجم الأدباء ٧ : ١٤٨ .

(٢٠) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٣ .

(٢١) السنة : الصورة - الندب : الأثر من الجراح ، وقوله :
غير مقرفة أى غير هجنة عفيفة كريمة . وفى الصباح : المقرف كمحسن
من الفرس وغيره : ما يبدانى الهجنة ، أى أمة عربية لا أبوه ، لأن الإعراف
من قبل الفحل ، و الهجنة من قبل الأم .

انظر الديوان ص : ٨ - معانى الفراء ٢ : ٧٤ - الخزانة
٢ : ٣٢٤ .

(٢٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الملقب بالفراء توفى ببغداد
سنة ٢٠٧ هـ .

(٢٣) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٤ .

فدافعت عنه الخيل حتى تبسدت
وحتى علاني حالك اللون أسود (٢٤)

و (أسود) نعت لحالك ، وجر لجاورته المجرور .

وقال امرؤ القيس :

٧ - كان أبانا في عرانيين ويله كبير أناس في بجاد مزمل (٢٥)

وكان يجب أن يقول : مزمل - بالرفع - ، لأنه نعت لكبير المرفوع
الا أنه حذفه على الجوار .

وقال ابن جني في الخصائص (٢٦) : (ولم يحمل أبو على هذا
البيت على الغلط ، لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حذف حرف الجر فارتفع
الضمير فاستقر في اسم المفعول) .

(٢٤) تنوشه : تناوله - الصياحى : جمع مفردة صبيحية ، وهي
شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة (بضم اللام) وهما نوعان
من الثياب .

والمعنى : أن أخاه دعاه والرمح تناوله ، ولها خشخشة ووقع كرقم
صياحى الحاككة في ثوب ينسج ، والنسيج الثياب المنسوجة .
وروى البيت برفع (أسود) وعلى هذا يكون في البيت اقواء ، وهو
اختلاف حركة الروى .

وخرجه علماء اللغة على أن الأصل هو (أسودى) ، كما قيل في
الأحمر : أحمرى ، وفي الدوار : دوارى ، قال العجاج :

أطربا وأنت قنسىرى والدهن بالانسان دوارى
ثم خفضت ياء النسبة المشددة بحذف أحد الياءين ، وهي الأولى ،
وجعل الثانية صلة .

انظر ديوان دريد ص : ٤٨ - الخزائن ٢ : ٣٢٣ - شرح الحماسة
للتبريزي ٣ : ٣٠٧ .

(٢٥) ثبير : جبل - العرائين : الأوائل ، والأصل في هذا أنه يقال
للأنف عرتين ، والويل والوايل : ما عظم من القطر - البجاد : الكسا
المخطط - المزمل : الملفف .

شبه الحبل في الأوائل الويل ، وهو المطر الشديد الوقاء ، العظم
القطر بكسر قو ممتلف بكسـام .

أحم الخزائن ٢ : ٣٢٧ - الخصائص ١ : ١٩١ - شـ القصائد
التسم للتحاس ١ : ١٩١ .

(٢٦) ١ : ١٩١ .

وفى الأمالى (٢٧) : ولولا تقدير فيه ما هنا لوجب رفع (مزمّل) على الوصف لكبير ، وتقدير فيه أمثل من حمل الجر على المجاورة .
وقال فى الخزانة (٢٨) : (قوله (مزمّل) أنجز لمجاورته لأناس تقديرا لا لـ (بجاد) لتأخره عن (مزمّل) فى الرتبة ، فالمجاورة هنا تقديرية) .

(٢٧) انظر الأمالى الشجرية ١ : ٩٠ .
(٢٨) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٧ .

المبحث الثاني

الجر على الجوار في التوكيد

الخفض على الجوار يكون في التوكيد نادرا ، ومن ذلك قول أبي الغريب (١) :

يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصل إذا انحلت عرا الذنب (٢)

والشاهد : جر كلمة (كلهم) مع أنها توكيد لكلمة (ذوى) المنصوبة ،
اذ لو كانت توكيدا لكلمة (الزوجات) لقال : كلهن ، فكان حق (كلهم)
النصب ، ولكنه خفض لمجاورة المخفوض .

وقال الفراء (٣) (أنشدني أبو الجراح العقيلي :

٨ - يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصل إذا انحلت عرا الذنب

فاتبع (كل) خفض (الزوجات) وهو منصوب ، لأنه نعت لذوى) .

(١) هو أعرابي أدرك دولة العباسيين .

(٢) صاح : منادى مرخم أصله يا صاحب ، و (كلهم) توكيد لذوى
منصوب بفتحة مقدرة منعاً من ظهورها كسرة المجاورة . عرا الذنب :
عروق الذكر .

والمعنى : ان ترك الأزواج الجماع ، لضعفهم ، نحينقذ لا يوجد
وصل من الزوجات لهم .

أنظر معانى الفراء ٢ : ٧٥ - الخزانة ٢ : ٣٢٥ - الهمع ٤ : ٣٠٤ -
شذور الذهب ص : ٢٦١ .

(٣) أنظر معانى الفراء ٢ : ٧٥ .

وأما البدل ، فلم يقل أحد بالجر على الجوار فيه ، قال أبو حيان (٤) .
ولم يحفظ من كلامهم ما يفيد ذلك ، ولم يخرج أحد شيئاً ، وسببه أنه
معمول لعامل آخر غير العامل الأول على الأصح ، أى أن البدل على نية
تكرير العامل . ولذلك يجوز اظهاره اذا كان حرف جر باجماع ، فبعدت
مراعاة المجاورة ، ونزل منزلة جملة أخرى) .

(٤) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ .

المبحث الثالث

الرفع على المجاورة

الرفع على المجاورة غير وارد عند جمهور النحاة ، إلا أن بعضهم قد أثبتته مستدلاً على ذلك بقول المتنخل الهذلي :

٩ - السالك الثغرة اليقظان كالثها

مشى الهلوك عليها الخيعل الفضل (١)

(فقد سأل الرياشي الأصمعي (٢) عن سبب ارتفاع (الفضل) ، فرد عليه قائلاً : إن (الفضل) نعت (الخيعل) وهو مرفوع .

وأصله أن المرأة الفضل هي التي تكون في ثوب واحد ، فجعل (الخيعل) فضلاً ، لأنه لا ثوب فوقه ، ولا تحته .

(١) البيت من قصيدة للمتنخل الهذلي رثى بها ابنه أثيلة وقيلة :
فقد عجبت وما بالدهر من عجب أنى قتلت وأنت الحازم البطل
قوله (أنى قتلت) أى كيف قتلت ، و (الثغرة) والثغر بمعنى واحد وهو موضع المخالفة . و (كالثها) حافظها و (الهلوك) من النساء التي تنهالك في مشيتها أى تتبختر وتتكسر ، وقيل : الهلوك : الفاجرة التي تتواقع على الرجال . و (الخيعل) القميص الذي لا كمي له ، ويقال : امرأة فضل إذا كان عليها قميص ورداء ، وليس عليها أزار ولا سراويل ، والمعنى : أنت الذي من شأنه سلوك موضع المخالفة دون رهبة كالمرأة المتبخترة الفضل .

والثغرة منصوبة ، والعامل فيها (السالك) كقولك : الضارب الرجل ، يجوز فيها خفض كقولك : الضارب الرجل ، على التشبيه بالحسن الوجه ، وإذا نصبت الثغرة أو خفضتها أجريت عليها اليقظان صفاً فنصبت أو حرقت ، وارتفع به كالثها ، جاز ذلك لعودة الضمير إلى الموصوف ، وقوله (مشى الهلوك) منصوب بتقديرين مشى مشى المرأة ، وقوله (عليها الخيعل) حال معمولة لتمش ، أو جملة اعتراضية .

أصح دونه أن المولود - القسم الثالث - ص : ٣٤ - الأمال

التي حبة ٢ : ٣٠ ، ما بعدها .

(٢) انظر خزائن الأدب ٢ : ٣٢٨ .

قال الرياشي: وهذا مما أخذ على الأصمعي ، ثم رجع عن هذا القول ، وقال بعد ، هو من نعت (الهلك) لأنه رفعة على الجوار ، كما قالوا : هذا جحر ضب خرب) .

ومثل ذلك فى العطف قراءة الحسن(٣) « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعون » .

عطف الملائكة والناس على اسم الله على المعنى ، لأن التقدير : عليهم أن لعنهم الله .

ومثل رفع (الفضل) على النعت للهلك رفع (المظلوم) على النعت للمعقب فى قول لبيد يصف الحمار :

١ - حتى تهجر فى السراح وهاجها

طلب المعقب حقه المظلوم (٤)

والمعقب : الذى يطلب حقه مرة بعد مرة (٥) .

وقال أبو حيان(٦) : (قال بعض معاصرينا : أكثرهم يعتقد الجوار مخصوصا بالمجرور ، وقد جاء فى المرفوع ، وأنشد البيت المتقدم ، ثم قال : رفعوا (الفضل) اتباعا لما قبله ، لقريه .

(٣) آية : ١٦١ من سورة البقرة ، وانظر قراءة الحسن فى معانى الفراء ١ : ٩٦ .

(٤) تهجر : سار فى وقت الهاجرة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحر - الرواح : هو الوقت من زوال الشمس الى الليل ، ويقابله الغدو - هاجها : أزعجها - المعقب : الذى يطلب حقه مرة بعد أخرى - المظلوم : الذى مطله المدين يدين عليه له .

والمعنى : يقول : ان هذا الحمار الوحشى قدعجل رواحه الى الماء وقت اشتداد الهاجرة ، وأزعج الأتان ، وطلبها الى الماء مثل طلب الغريم الذى مطله مدين له ، فهو يلح فى طلبه المرة بعد الأخرى .

والشاهد فيه (طلب المعقب ٠٠ المظلوم) حيث أضاف المصدر وهو (طلب) الى فاعله وهو - المعقب - ثم أتبع الفاعل بالنعت وهو (المظلوم) وجاء بهذا التابع مرفوعا نظرا الى المحل .

انظر معانى الفراء ٢ : ٦٦ ، والأمالى الشجرية ٢ : ٢٢ .

(٥) انظر قول ابن الشجرى المتقدم فى أماليه ٢ : ٣٠ وما بعدها .

(٦) انظر خزائن الأدب ٢ : ٣٢٩ .

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر اتباعا للخيعل بل رفعه على النعت للهالك على الموضع ، لأن معناه ، كما تمشى الهالك الفضل ، و (عليها الخيعل) حال معمولة لتمشى ، أو جملة اعتراضية) .

وقال ابن قتيبة(٧) : التفرقة والثغر سواء وهو موضع المخالفة ، والكاليء : الحافظ ، والخيعل : ثوب يخاط أحد جانبيه ، ويترك الآخر ، والهالك : المتثنية المتكسرة ، والفضل من صفة الهالك ، وكان ينبغي أن يكون جرا ، ولكنه رفعه على الجوار للخيعل(٨) .

موقف الجمهور :

لم يسلم جمهور النحاة ما ذهب اليه هؤلاء العلماء من جواز الرفع على المجاورة ، وممن تصدى للرد عليهم ابن الشجرى ، وأبو حيان .

قال ابن الشجرى(٩) : (وزعم بعض من لا معرفة له بحقائق الاعراب بل لا معرفة له بجملة الاعراب أن ارتفاع (الفضل) على المجاورة للمرفوع فارتكب خطأ فاحشا .

وانما (الفضل) نعت للهالك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث أسند المصدر الذى هو المشى اليها كقولك : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرا .

رفعت الطويل ، لأنه وصف لفاعل الضرب ، وإن كان مخفوضا فى اللفظ .

ولو قلت : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرو فنصببت الطويل بانه نعت لزيد على معناه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيما ، كما عطف الشاعر عليه المنسوب فى قوله :

(٧) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى توفى ببغداد سنة ٢٧٦هـ .

(٨) انظر الخزانة ٢ : ٣٢٨ .

(٩) هو أبو السعادات هبة الله بن على الشريف البغدادى توفى ببغداد سنة ٥٤٢هـ .

١١ - قد كنت داينت بها حسانا

مضافة الا فلاس والليسانا (١٠)

ومما تقدم نعلم ان الراى الراجح فى ذلك هو راى الجمهور ، وهو
عدم جواز الرفع على المجاورة ، وأما رفع (الفضل) فى البيت المتقدم
فمحمول على المحل ، لأنه صفة له (ملوك) كما تقدم ، وهو كثير وسائغ
عن جمهور النحاة •

(١٠) نسب فى الكتاب الى رؤية ، وذكر العيني أنه ينسب أيضا
الى زياد العنبري •

و « داينت بها » أخذتها بدلا عن دين لى عنده ، والضمير فى (بها)
يعود الى أمة (الليان) بفتح اللام وتشديد الياء : المثل واللى والتسويق
فى قضاء الدين •

والمعنى : كنت قد أخذت هذه الأمة من حسان بدلا عن دين لى
عنده ، لخافنى أن يفلس ، أو يمتلنى فلا يؤدىنى حقى •
والشاهد فيه : قوله (والليانا) حيث عطفه بالنصب على (الافلاس)
الذى أضيف المصدر اليه ، نظرا الى محله •

انظر الكتاب ١ : ١٩١ - الأمالى الشجرية ٢ : ٣١ •

المبحث الرابع المجاورة في باب الجوازم

عامل الجزم في جواب الشرط :

• ذهب الكوفيون الى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار .

واختلف البصريون ، فذهب الأكثرون الى أن العامل فيهما حرف الشرط .

• وذهب آخرون الى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه .
• وذهب آخرون الى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط ، وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط (١) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا انه مجزوم على الجوار ، لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له ، لا يكاد ينفك عنه ، فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم ، فكان مجزوما على الجوار .

والحمل على الجوار كثير قال الله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » (٢) .

وجه الدليل أنه قال (والمشركين) بالخفض على الجوار ، وإن كان معطوفا على (الذين) فهو مرفوع ، لأنه أسم يكن .
وقال زهير :

١٢ - لعب الرياح بها وغيرها بعدى سوافى المور والقطر (٣)

(١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٢ .

(٢) البيضة : ١ .

(٣) السوافى : جمع سافية : وتطلق على الريح الى تسفى التراب ، ويقال أيضا على التراب الذى تسفيه الرياح ، أى تذروه وتعليقه وتهيجه . والمور - بضم الميم - هو التراب - والقطر :

فخفّض (القطر) على الجوار ، وان كان ينبغي أن يكون مرفوعا ،
لأنه معطوف على (سوافي) ، ولا يكون معطوفا على (المور) وهو
الخباب ، لأنه ليس للقطر سواف كالمر حتى يعطفه عليه .

(ولو عطف على (المور) للزم أن يكون معمولا لسوافي ، لأن العامل
في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه ، ويلزم أن يكون تقدير الحسم :
سوافي المور وسوافي القطر .

ومراد الشاعر أن الذي غير هذه الديار شيئان : أحدهما - الرير -
اسم نسفى عليها القراب ، وثانيهما المطر ، وهذا المعنى لا يتأتى له بـ
يكون (القطر) معطوفا على سوافي مع أنه ليس للمطر سواف ، فيكون
مرفوعا هي التقدير ، وجره لمجاورته المجرور ، فنقول : القطر معطوف
على سواف والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه ضمة مفعلة
على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة) (٤) .

وقال الآخر :

١٢ - كأنما ضربت قدام أعينها
قطننا بمستحصد الأوتار محلولج (٥)

هو المطر .

انظر الديوان ص : ٨٦ ، والانصاف ٢ : ٦٠٣ .
(٤) شرح شواهد الانصاف ٢ : ٦٠٣ للشـيخ محيى الدين
عبد الحميد .

(٥) (مستحصد الأوتار) من اضافة الصفة للموصوف ، أى
الأوتار المستحصدة ، ومستحصد - بكسر الصاد - إذا كان قد أحكم
قتله وصنعتة ، وهذا اللفظ يقال فى كل ما أحكمت صناعته من الحبال
والأوتار والدروع ، وقالوا : هذا رجل محصد الرأى ، أى سديد الرأى ،
وقالوا : هذا رأى مستحصد ، أى محكم وثيق وهو فى هذا بفتح الصاد .
ومحلوج : اسم مفعول من قولهم : حلج القطن يحلجه إذا ندقه ، وقطن
حليج ومحلولج : مندوف ، أى قد استخرج منه الحب ، وصانع ذلك هو
الحلاج كالعطار والقصاب .

انظر معانى الفراء ٢ : ٧٤ - الانصاف ٢ : ٦٠٥ .

فخفض (محلوج) على الجوار ، وكان ينبغي أن يقول (محلوجا)
لكونه وصفا لقوله (قلنا) ولكنه خفضه على الجوار .
وقال ليبيد :

كان نسج العنكبوت الرمل (٦)
فخفض (الرمل) على الجوار ، وكان ينبغي أن يقول : (الرمل)
لكونه وصفا للنسيج ، لا للعنكبوت .

ومن ذلك قولهم : جحر ضب خرب ، فخفضوا خربا على الجوار .
وكان ينبغي أن يكون مرفوعا ، لكونه في الحقيقة صفة للجحر لا للضب .
فكذلك ها هنا : جواب الشرط كان ينبغي أن يكون مرفوعا إلا أنه جزم
للجوار ، ولهذا إذا حلت بينه وبين فعل الشرط بالفاء أو باذا رجع
إلى الرفع (٧) .

الجواب عن كلمات الكوفيين :

أما احتجاجهم بقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين » فلا حجة لهم فيه ، لأن قوله (والمشركين) ليس معطوفا على
(الذين كفروا) وإنما هو معطوف على قوله (من أهل الكتاب) «نحو»
الجر ، لأنه معطوف على محذور ، لا على الجوار .

وأما قول زهير :

بعدي سوافي المور والقطر

فلا حجة لهم فيه ، لأنه معطوف على (المور) وهو الغبار ، ونزولهم
« لا يكون معطوفا على (المور) لأنه ليس للقطر سواف » قلنا : يجوز
أن يكون قد سمى ما تسفيه الريح منه وقت نزوله سوافي ، كما يسمى
ما تسفيه الريح من الغبار سواف .

(٦) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٤)

(٧) الانصاف ٢ : ٦٠٥ ، ٦٠٧ .

وأما قول لبيد :

كأن نسيج العنكبوت المرمل

فنقول : الرواية (المرمل) بكسر الميم - فيكون من وصف العنكبوت
لا النسيج ، وإن كانت الرواية الى ذكرتم صحيحة ، وأنه مجرور على
الجوار ، الا أنه لا حجة فيه ، لأن الحمل على الجوار من الشاذ الذي
لا يعرج عليه .

وكذلك قوله :

قطننا بمسند الأوتار محلوج

وقولهم : جحر ضب خرب ، محمول على الشذوذ الذي يقتصر
فيه على السماع لقلته ، ولا يقاس عليه ، لأنه ليس كل ما حكى عنهم
يقاس عليه ، الا ترى أن اللحياني (٨) حكى أن من العرب من يجزم بلن
وينصب بلم ، الى غير ذلك من الشواذ الى لا يلتفت اليها ولا يقاس عليها ،
فكذلك ما هنا (٩) .

وقال ابن مالك في شرح التسهيل (١٠) : (اختلف في الجازم لجواب
الشرط فقال الكوفيون : هو مجزوم على الجوار ، كجحر ضب خرب من
قولهم : هذا جحر ضب خرب ، وهو باطل لأمر :

أحدها - أن الخفض على الجوار لا يكون الا بعد مجرور .

ثانيها - أن الخفض على الجوار لا يكون الا مع الاتصال ، وج
الجواب يكون مع الاتصال والانفصال .

فعلم أنه ليس مجزوما على الجوار) .

(٨) هو علي بن حازم اللحياني من تلاميذ الكسائي ، صنف كتاب
النسوان .

(٩) الانصاف ٢ : ٦٠٩ - ٦١٥ .

(١٠) انظر شرح تسهيل القوائد وتكميل المقاصد لابن مالك -
نسخة مصورة على الميكروفيلم موجودة في المكتبة المركزية بالجامعة
الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) .

وأنا أرجح ما ذكره الشيخ محيي الدين عبد الحميد - رحمه الله -
تعليقا على هذه المسألة حيث قال (١١) : (والتحقيق فيه عندى أن يقال :
إن (إن) هو العامل فى جواب الشرط بواسطة فعل الشرط ، لأنه لا ينفك
عنه ، فحرف الشرط يعمل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط ، لا به ،
كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والحطب ، فالتسخين إنما
حصل عند وجودهما لا بهما ، لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها ،
فكذلك ها هنا ، (إن) هو العامل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط
لا أنه عامل معه) .

(١١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٨ .

المبحث الخامس

المجاورة فى باب التنازع

القول فى أولى العاملين بالعمل فى باب التنازع :

- ذهب الكوفيون فى اعمال العاملين ، نحو « اكرمنى واكرمت زيدا ، واكرمت واكرمنى زيد » الى ان اعمال الفعل الأول أولى .
- وذهب البصريون الى ان اعمال الفعل الثانى أولى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : (الدليل على ان اعمال الفعل الأول أولى النقل والقياس .

- أما النقل فقد جاء ذلك عنهم كثيرا ومنه قول امرئ القيس .
- ١٤ - فلو ان ما أسعى لأدنى معيشة

كفانى - ولم اطلب - قليل من المال (١)

(١) محل الاستشهاد بالبيت فى قوله (كفانى ولم اطلب قليل من المال) فان الكوفيين زعموا ان هذا البيت من باب التنازع ، لتقدم فعلين على اسم واحد ، وقد اعمل الشاعر أول الفعلين ، وهو قوله (كفانى) فى الاسم المتأخر فرفعه ، والدليل على ذلك انه لو اعمل الثانى ، وهو (اطلب) لنصب الاسم به ، لأنه يطلب مفعولا .

وهذا الكلام غير صحيح ، لأن شرط التنازع ان يكون محل واحد من العاملين المتقدمين طالبا للمعمول مع صحة المعنى على فرض عمل أيهما فيه .

وقد هذا البيت لا يتم ذلك ، فانك لو قلت : لم ثبت كبر سعي لأدنى معيشة كفانى قليل من المال ، ولم اطلب ذلك القليل ، لكان كلاما متناقضا لا محصول له .

و انما يتم معنى بيت امرئ القيس اذا قدمت لقدم له (ولم اطلب) مفعولا لا بدل عليه البيت بعده ، وتقدمه : (ولم اطلب المال) ، وإذا انحصرت البيت له : لم ثبت كبر سعي لأدنى معيشة كفانى قريبا من المال ، ولم اطلب لك كان كلاما صحيحا مقبولا .

انظر الدب ان ص : ٣٩ والانصاف ١ : ٨٤ ، وقط النسخ ص :

٢٧٧ ، ٢٧٨ .

فَاعْمَلِ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ ، وَلَوْ أَعْمَلَ الثَّانِي لَنَصَبَ (قَلِيلًا) ، وَذَلِكَ لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ •

وَأَمَّا الْقِيَاسُ فَهُوَ أَنَّ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ سَابِقُ الْفِعْلِ الثَّانِي ، وَهُوَ صَالِحٌ لِلْعَمَلِ كَالْفِعْلِ الثَّانِي ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَبْدُوءًا بِهِ كَانَ أَعْمَالُهُ أُولَى ، لِقُوَّةِ الْإِبْتِدَاءِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ ، وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ الْغَاءُ (ظَنَنْتَ) إِذَا وَقَعَتْ مَبْتَدَأٌ ، نَحْوُ : ظَنَنْتَ زَيْدًا قَائِمًا بِخِلَافِ مَا إِذَا وَقَعَتْ مُتَوَسِّطَةً أَوْ مُتَأَخِّرَةً نَحْوُ : زَيْدٌ ظَنَنْتَ قَائِمًا ، وَزَيْدٌ قَائِمٌ ظَنَنْتَ ، وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ الْغَاءُ (كَانَ) إِذَا وَقَعَتْ مَبْتَدَأٌ نَحْوُ : كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَتْ مُتَوَسِّطَةً ، نَحْوُ : زَيْدٌ كَانَ قَائِمًا فَدَلَّ أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ لَهُ أَثَرُهُ فِي تَقْوِيَةِ عَمَلِ الْفِعْلِ •

وَالَّذِي يُؤَيِّدُ أَنَّ أَعْمَالَ الْأَوَّلِ أُولَى مِنَ الثَّانِي أَنَّكَ إِذَا أَعْمَلْتَ الثَّانِي أَدَّى إِلَى الْإِضْمَارِ قَبْلَ الذِّكْرِ ، وَالْإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ لَا يَجُوزُ فِي كَلَامِهِمْ (٢) •

(وَأَمَّا الْبَصَرِيُّونَ فَاحْتَجُّوا بِأَن قَالُوا : الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْإِخْتِيَارَ أَعْمَالَ الْفِعْلِ الثَّانِي النُّقْلَ وَالْقِيَاسَ •

أَمَّا النُّقْلُ فَقَدْ جَاءَ كَثِيرًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَتَوْنِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا » (٣) فَاعْمَلِ الْفِعْلَ الثَّانِي وَهُوَ أَفْرَغَ ، وَلَوْ أَعْمَلَ الْفِعْلَ الْأَوَّلَ لَقَالَ : أَفْرَغُهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ تَعَالَى : « هَؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَكَتَابِيهِ » (٤) فَاعْمَلِ الثَّانِي ، وَهُوَ أَقْرَأُوا ، وَلَوْ أَعْمَلَ الْأَوَّلَ لَقَالَ : أَقْرَءُوهُ •

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

١٥ - وَلَكِنْ نَصِفَا لَوْ سَبَّيْتُ وَسَبَّيْتُ

بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ مَنْصَافٍ وَهَاشِمٍ (٥)

(٢) انظر الانصاف ١ : ٨٣ - ٨٧ •

(٣) الكهف : ٩٦ •

(٤) الحاقة : ١٩ •

(٥) النصف - بالكسر - معناه المعدل ، والمعنى : ليس من الانصاف أن أساب مقاعسا بأبائي ، وذلك لضعفهم وشرقي . فلا أذم الانصاف أن أساب مقاعسا بأبائي ، وذلك لضعفهم وشرقي • فلا أذم

ففاعل الثانى ، ولو اعمل الأول لقال : سببت وسبونى بنى
عبد شمس ، بنصب (بنى) واظهار الضمير فى سبنى .

وأما القياس فهو أن الفعل الثانى أقرب الى الاسم من الفعل
الأول ، وليس فى اعماله دون الأول نقض معنى ، فكان اعماله أولى ،
لا ترى أنهم قالوا « خشنت بصدرة و صدر زيد » فيختارون اعمال الباء
فى المعطوف ، ولا يختارون اعمال الفعل فيه ، لأنها أقرب اليه منه ،
وليس فى اعمالها نقض معنى ، فكان اعمالها أولى .

والذى يدل على أن للمقرب أثرا أنه قد حملهم القرب والجوار حتى
قالوا : « جمر ضب خرب » فأجروا (خرب) على (ضب) وهو فى الحقيقة
صفة للمجر ، لأن الضب لا يوصف بالخراب ، فهذا هنا أولى (٦) .

وقال سيبويه (٧) فى معرض حديثه عن أولى العاملين بالعمل فى
باب التنازع : (وهو قولك : ضربت وضربنى زيد ، وضربنى وضربت
زيدا ، تحمل الاسم على الفعل الذى يليه .

فالعامل فى اللفظ أحد العاملين ، وأما فى المعنى ، فقد يعلم أن
الأول قد وقع (٨) إلا أنه لا يعمل فى اسم واحد نصب ورفع .

وانما كان الذى يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقض معنى ،
وإن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد ، كما كانت : خشنت
بصدرة (٩) و صدر زيد وجه الكلام ، حيث كان الجر فى الأول ، وكانت
الباء أقرب الى الاسم من الفعل ، ولا تنقض معنى ، سووا بينهما فى
الجر ، كما يستويان فى النصب) .

وبنو عبد شمس من اشراف قريش أبوهم عبد مناف ابن قصي ، وهاشم
وعبد شمس اخوان توأمان . وهاشم فى البيت معطوف على عبد شمس
لا على مناف ، وهو شاهد على اعمال العامل الثانى .

انظر الديوان ص : ٨٤٤ ، والكتاب ١ : ٧٧ ، وانصاف ١ : ٨٧ .

(٦) انظر الانصاف ١ : ٨٧ - ٩٢ .

(٧) انظر الكتاب ١ : ٧٣ .

(٨) يعنى وقوع الفعل على المفعول من جهة المعنى .

(٩) خشنت بصدرة : أو غرت بصدرة .

(الجواب عن كلمات الكوفيين :

بالنسبة لقول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة

كفاني ولم أطلب قليل من المال

فنقول : انما أعمل الأول منهما مراعاة للمعنى ، لأنه لو أعمل
الثاني لكان الكلام متناقضا ، وذلك من وجهين ، أحدهما - أنه لو أعمل
الثاني لكان التقدير فيه : كفاني قليل ولم أطلب قليلا من المال ، وهذا
متناقض ، لأنه يخبر تارة بأن سعيه ليس لأدنى معيشة ، وتارة يخبر بأنه
يطلب القليل ، وذلك متناقض .

والثاني - أنه قال في البيت الذي بعده :

١٦ - ولكنما أسعى لجيد مؤثّل

وقد يدرك الجيد المؤثّل أمثالي

فلهذا أعمل الأول ولم يعمل الثاني .

وأما قولهم : أن الفعل الأول سابق فوجب أعماله للعناية به ،
قلنا : هم وإن كانوا يعنون بالابتداء إلا أنهم يعنون بالمقابلة
والجوار أكثر .

وأما قولهم : لم أعملنا الثاني لأدى اليه الاضمار قبل الذكر ،
قلنا : انما حوزنا ما هنا الاضمار قبل الذكر ، لأن ما بعده بفسره ،
لأنهم قد استغنوا عن بعض الألفاظ عن بعض إذا كان في اللفظ دلالة
على المحذوف لعلم المخاطب ، قال تعالى : « والحافظين فوجههم
والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات » (١٠) فلم يعمل الأخ
فيما عمل فيه الأول استغناء عنه بما ذكره قبل ، ولعلم المخاطب أن
الثاني قد دخل في حكم الأول ، وقال تعالى : « إن الله يهدي من يشاء
فردسه (١١) فاستغنوا عن ذكره الأول من ذكر خذ الثاني ، لعدم
المخاطب أن الثاني قد دخل في ذلك (١٢) .

(١٠) الأحزاب : ٣٥ . (١١) التوبة : ٣ .

(١٢) انظر الانصاف ١ : ٩٢ ، ٩٣ .

(والمندقق فى مثل هذه المسألة يرى أن الشواهد الواردة عن العرب المحتج بكلامهم ، قد عمل العامل الأول فى بعضها ، وعمل الثانى فى بعضها الآخر .

ومن هنا فقد تكافأ العاملان فى جواز الاعمال ، ولم يبق أحدهما أولى من أخيه ، فاما سبق الأول صاحبه ، وقرب الآخر من المعمول فلا يفيد ، فانا نعلم أن الأفعال تعمل متقدمة على المعمول ومتأخرة عنه ، وتعمل متصلة بمعمولها ومفصلة منه ، وذلك كله واقع فى أفصح كلام ، فليس لواحد من الفريقين أن يدعى أن الاستعمال العربى يؤيده وحده ، لأن الاستعمال العربى يؤيد كل واحد منهما ، والأولى عند الترجيح فى مثل هذه القضية ، فان لكل منهما مستندا من التعليل والقياس لا من الاستعمال العربى)(١٣) .

(١٣) انظر تعليق الشيخ محيى الدين على شواهد الانصاف
١ : ٨٨ ، ٩٠ .

المبحث السادس

المجاورة فى باب الإضافة

ما يكتسبه المضاف بالمجاورة :

قد يكتسب المضاف المذكر التانيث من المضاف اليه المؤنث ،
ويشترط فى ذلك أمران :

الأول - أن يكون المضاف صالحا للحذف ، وإقامة المضاف اليه
مقامة مع صحة المعنى .

الثانى - أن يكون المضاف بعضا من المضاف اليه أو كبعضه ،
أو كلاله .

فمن الأول قوله تعالى « فله عشر أمثالها » (١٤) ، فحذفت التاء
من (عشر) وهى مضافة الى الأمثال ، وهى مذكورة ، ولكن لما جاورت
الأمثال الضمير المؤنث أجرى عليها حكمه (١٥) .
وقال جرير :

١٧ - لما أتى خبر الزبير تضعضعت

صور المدينة والجبال الخشع (١٦)

فألحق بالفعل (تضعضعت) تاء التانيث مع أن فاعله مذكر وهو
(سور) ولكن لما جاو (المدينة) المؤنثة اكتسب التانيث منها .

ومن ذلك أيضا قولهم : ذهب بعض أصابعه ، فـ (بعض) فاعل
(ذهبت) ولحق فعله تاء التانيث ، لكونه بعض المضاف اليه ، فاكسب
المضاف وهو (بعض) التانيث من المضاف اليه ، وهو (الأصابع) لصحة

(١٤) الأنعام : ١٦٠ .

(١٥) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ .

(١٦) انظر الديوان ص : ٣٤٥ ، وفيه توافضت بدل تضعضعت .

الاستغناء بالأصابع عنه فتقول : ذهبت أصابعه ، تعبيراً بالكل عن
الجزء .

وقال الأعشى :

١٨ - وتشرق بالقول الذى قد أذعته

كما شسرت صدر القناة من الدم (١٧)

فالحق بالفعل (شرقت) تاء التانيث مع أن فاعله مذكر وهو (صدر)
والقياس (شرق) ، ولكن لما كان الصدر الذى هو مضاف بعض المضاف
إليه وهو القناة اكتسب التانيث منه .

ومن الثانى قول ذى الرمة :

١٩ - مشين كما اهتزت رماح تسفها

أعاليها مر الرياح النواسم (١٨)

فقد الحق الشاعر بالفعل وهو (تسفه) علامة التانيث مع أن فاعله
مذكر وهو (مر) ، لأنه اكتسب التانيث من المضاف إليه ، والشرطان
موجودان ، لأن المضاف وهو (مر) كالبعض ، ويصح المعنى بحذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فتقول : تسفها الرياح .

ومن الثالث قوله تعالى « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا » (١٩) فقد الحق بالفعل وهو (تجد) علامة التانيث وهى تاء

(١٧) (تشرق) و (شرقت) يقال : شرق فلان بالماء يشرق من باب
علم ، أى غص (القناة) الرمح ، وصدرها أعلاها الذى يلى السفن ، أى
يعود عليك مكروه ما أذعت عنى من القول .
انظر الديوان ص : ١٨٣ - الأشهدونى ٢ : ٢٤٨ - الكتاب
١ : ٥٢ .

(١٨) تسفها : أمالت (أعاليها) جمع أعلى وهو الطرف العسالى
(النواسم) جمع ناسمة وهو أول الريح حين تهب بلين ، وأراد من الرماح
الأفصان . والمعنى : أن هؤلاء النسوة قد مشين فى اهتزاز وتمائل ، فهن
بحاكين رماحا أو غصونا . مرت بها ريح فأمالتها
انظر الديوان ص : ٦٩٥ .
(١٩) آل عمران : ٣٠ .

المضارعة مع أن ماعله مذكر وهو (كل) ، لأنه اكتسب التأنيث من انضمام اليه وهو (نفس) ، ويصح المعنى بحذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه فتقول : يوم تجد نفس •

وقول عنتره :

٢٠ - جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم (٢٠)

فقد لحقت الفعل وهو جادت تاء التأنيث مع كون فاعله مذكرا وهو (كل) لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو (عين) •
وقد يكتسب المضاف المؤنث التذكير من المضاف اليه المذكر كقول الشاعر :

٢١ - انارة العقل مكسوف بطوع هوى

وعقا، عاصى الهوى يزداد تنويرا (٢١)

فذكر (مكسوف) مع أنه خبر عن مؤنث وهو (انارة) ، لأنه اكتسب التذكير من اضافته الى العقل المذكر •

وقيل : ان من ذلك قوله تعالى « ان رحمة الله قريب من

(٢٠) الضمير في (عليه) يرجع الى النبت في البيت السابق (عين) سحابة تأتي من جهة العراق أو مطر أيام لا يقلع • (ثرة) كثيرة الماء (حديقة) المراد بها هنا الأرض المرتفعة (كالدرهم) فى الاستدارة والبياض •

انظر الأشمونى ٢ : ٢٤٨ •

(٢١) (انارة) هو فى الأصل مصدر قولك : انار القمر ونحوه اذا اضاء (العقل) هو الغريزة التى بها يدرك الانسان الأشياء (مكسوف) هو الرصف من قولك : كسفت الشمس بالببناء للمجهول اذا ذهب نورها • (بطوع هوى) طلوع - بفتح الطاء وسكون الواو - أى الطاعة والانقياد • والهوى : شهوة النفس وميلها الى ما تحبه ، وإراد بسبب انطلاقة وراء شهوات نفسه الموبقة • والمعنى : اذا جرى الانسان وراء شهوات نفسه ، وانطلق خالق اغراضه ضعف عقله الذى به يدرك الأشياء ، وغطى علمه ونوره الربانى الذى تفاض به عليه الطاعة •

انظر أوضح المسالك ٢ : ١٨١ - الأشمونى ٢ : ٢٤٨ •

المحسنين» (٢٢) فالرحمة مؤنثة واكتسبت التذكير من اضافتها الى لفظ الجلالة ، فأخبر عنها بقريب المذكر ، وكان القياس ان يقال : قريبة .

ورد هذا القول بقوله تعالى « لعل الساعة قريب » (٢٣) حيث ذكره بلا اضافة . فالوجه ان التذكير فى الآيتين لاجراء فعيل بمعنى ماعل مجرى فعيل بمعنى مفعول فى أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث .

أو لكون فعيل على وزن المصدر كصهيل ، والمصدر يخبر به عن المذكر والمؤنث ، فكذا ما وازنه .

فان فقد الشرطان المذكوران لم يكتسب المضاف التانيث أو التذكير من المضاف اليه فلا تقول : حضرت ابن زينب ، ولا قام امرأة محمد ، لان المضاف لا يصلح للاستغناء عنه بالمضاف اليه ، ولا تقول : أعجبتنى يوم العروبة (الجمعة) ، لأنه وان صح الاستغناء عن المضاف بالمضاف اليه ، فتقول : أعجبتنى العروبة فليس المضاف كلا ولا بعضا للمضاف اليه ولا كبعضه ، لان اليوم هو نفس العروبة .

وقال العكبرى (٢٤) : (ومما راعت العرب فيه الجوار قولهم : قامت هند ، فلم يجيزوا حذف التاء اذا لم يفصل بينهما ، فان فصلوا بينهما اجازوا حذفها ، ولا فرق بينهما الا المجاورة وعدم المجاورة) (٢٥) .

(٢٢) الأعراف : ٥٦ .

(٢٣) الشورى : ١٧ .

(٢٤) هو أبو اليقاء عبد الله الضرير بن الحسن أصله من عكبر (بليدة على دجلة فوق بغداد) توفى ببغداد سنة ٦١٦ هـ وقد قارب الثمانين .

(٢٥) انظر التبيان ١ : ٤٢٢ .

المبحث السابع

المجاورة فى باب الأحوال والأزمنة

من شرط الفعل اذا نصب ظرفا أن يكون واقعا فيه ، أو فى بعضه ،
كقولك : صمت يوما ، وسرت فرسخا ، وزرتك يوم الجمعة ، وجلست
عندك .

فكل واحد من هذه الأفعال واقع فى الظرف الذى نصبه
لا ممالة .

وأحيانا ينصب الفعل الظرف ولا يكون واقعا فيه ، وإنما هو يقع
فيما يلى الظرف ويسكن بسبب المجاورة الزمانية صارا كأنهما وقعا فى
وقت واحد .

ومن ذلك قولهم : أحسنت إليه إذ أطاعنى ، وأنت لم تحسن إليه فى
أول وقت الطاعة ، وإنما أحسنت إليه بعد تمامها ، ألا ترى أن الاحسان
مسبب عن الطاعة ، وهى كالعلة له ، ولا بد من تقدم وقت السبب على
وقت المسبب ، كما لا بد من ذلك مع العلة . لكنه لما تقارب الزمانان ،
وتجاورت الحالان فى الطاعة والاحسان ، أو الطاعة واستحقاق
الاحسان صارا كأنهما وقعا فى زمان واحد كما أسلفنا .

والدليل على ذلك أن (لما) من قولك : لما أطاعنى أحسنت إليه ،
إنما هى منصوبة بالاحسان ، وظرف له ، كقولك : أحسنت إليه وقت
طاعته ، وأنت لم تحسن إليه لأول وقت الطاعة ، وإنما كان الاحسان
عقب الطاعة ، أى بعد أن أطاعة ، لكن لما كان الثانى مسببا عن الأول
وتأليا له ، فاقتربت الحالان ، وتجاور الزمانان ، صار الاحسان كأنه
هو والطاعة فى زمان واحد ، فعمل الاحسان فى الزمان الذى يجاوز
وقته ، كما يعمل فى الزمان الواقع فيه هو نفسه .

وقال ابن جني (١) :

(ولما اطرد هذا في كلامهم وكثر على المستنهم وفي استعمالهم تجاوزوه واتسعوا فيه الى ما تناءت حالاه ، وتفاوت زماناه ، وذلك كان يقول رجل بمصر في رجل آخر بخراسان : لما ساءت حاله حسنتها ، ولما اختلت معيشته عمرتها ، ولعله ان يكون بين هاتين الحالين السنة والسنتان .

فان قلت : فلعل هذا مما اكتفى فيه بذكر السبب ، وهو المعرفة بسوء حالة واختلال معيشته ، اما المسبب عنه وهو التغيير والاصلاح فيكون متراخيا ، فكأنه قال : لما عرفت اختلال حالة عمرتها .

قيل : ولو كان الامر على ذلك لما عدوت ما كنا عليه ، الا ترى انه قد يعرف ذلك من حال صاحبه ، وهو معه في بلد واحد بل منزل واحد فيكون بين المعرفة بذلك والتغيير له الشهر والشهران او اكثر ، فكيف بمن بينه وبينه الشقة الشاسعة المحتاجة الى المدة المتراخية) .

وبعد هذا قال ابن جني (٢) : (وعلى هذا يتوجه عندي قول الله - سبحانه - « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون » (٣) .

وذلك ان تجعل (اذ) بدلا من قوله (اليوم) والا بقيت بلا ناصب .
وجاز ابدال (اذ) وهو ماض في الدنيا من قوله (اليوم) وهو حينئذ حاضر في الآخرة ، لأنه لما كان عدم الانتفاع بالاشتراك في العذاب انما هو مسبب عن الظلم ، وكانت - ايضا - الآخرة تلى الدنيا بلا وقفة ولا فصل صار الوقتان على تباينهما وتناوبهما كالوقتتين المقترنين الدائبين المتلاصقين نحو :

... انت اليه اذ شكرني ، وأعطيته حين سألتني .

وهذا أمر استقر بيني وبين أبي على (٤) - رحمه الله - .

(١) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٢ .

(٢) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٤ .

(٣) الزخرف : ٣٩ .

(٤) هو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي نشأ في بلاد فارس ، وتوفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ ، عن نيف وتسعين سنة .

وانما جاء هذا النحو فى الأزمنة دون الأمكنة من حيث كان كل جزء من الزمان لا يجتمع مع جزء آخر منه ، انما يلى الثانى الاول خلفا له ، وعوضا عنه ، فصار الوقتان كأنهما واحد ، وليس كذلك المكان ، لأن المكانين يوجدان فى الوقت الواحد ، بل فى اوقات كثيرة غير منقضية .

فلما كان المكان بل الأمكنة كلها تجتمع فى الوقت الواحد والأوقات كلها لم يقد بعضها مقام بعض ، ولم يجر مجراه ، فلهذا لا نقول : جلست فى البيت من خارج أسكفته (٥) ، وان كان ذلك موضعا يجاوز البيت ويماسه ، لأن البيت لا يعدم (٦) فيكون خارج بابيه ، خالفا فى الوجود له ، كما يعدم الوقت فيعرض منه ما بعده (٧) .

(٥) أسكفة الباب : عتيقه .

(٦) يقصد بذلك أنك لا يصح أن نقول : جلست فى البيت من خارج عتيقه قاصدا بذلك الجلوس فى البيت ، وتكون عتبة البيت نائية عن البيت فى الوجود ، لأن البيت موجود وعتيقه موجودة ، ويجتمعان فى الوقت (٧) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٤ .

الفصل الثالث

المجاورة في المسائل التصريفية

(م ٤ – دراسات نظرية)

المجاورة فى المسائل التصريفية

لم يكن أثر الجوار قاصرا على الجانب النحوى فقط ، وإنما تعداه
ليشمل الجانب التصريفى أيضا •

ومن ذلك :

- ١ - الجوار بين الواو والكسرة •
- ٢ - الجوار بين عين الكلمة ولامها •
- ٣ - قلب الحرف للتناسب •
- ٤ - قلب الواو المجاورة للطرف همزة •
- ٥ - مجاورة الواو للضممة •

أولا - الجوار بين الواو والكسرة :

من ذلك قولهم : قنية ، وصبية ، وفلان من عليه الناس ، وهو ابن
عمى دنيا ، وصبيان •

وأصل (قنية من قنوت ، وصبية من صبوت وكذا صبيان ، وعليه
من علوت ، ودنيا من دنوت •

وقياسه : قنوة ، وصبوة وصبوان ، وعلوة ، ودنوا •

ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل
الواو ، ولم يعتبر الساكن حاجزا لضعفه •

ونظير هذا قولهم : أقتل ، أدخل حيث ضموا الهمزة لضممة العين ،
ولم يعتدوا بالفاء حاجزا لسكونها فصارت الهمزة لذلك كأنها قبل العين
المضمومة ، فضممت كراهة الخروج من كسر الى ضم (١) •

(١) انظر المنصف ٢ : ٢ •

ثانيًا - الجوار بين عين الكلمة ولامها :

ومن ذلك قولهم في صوم : صيم قال سيبيويه (٢) (والواو تغلب ياء في فعل ، وذلك قولهم : صيم في صوم ، وقيم في قوم ، وقيل في فصول ، ونيم في نوم . لما كانت الياء اخف عليهم وكانت بعد ضمة ، شبهوها بقولهم : عتي في عتو ، وجثي في جثو ، وعصى في عصو .

وقد قالوا ايضًا : صيم ونيم ، كما قالوا : عتي وعصى . ولم يعجلوا في زوار وصوام ، لأنهم شبهوا الواو في صيم بها في عتو اذ كانت لاها وفيل اللام واو زائدة . وكلما تباعدت من اخر الحرف بعد شبهها وقسوت) .

ومن أمثلة القلب في (فعل) قول الحاذرة :

٢٢ - ومعرض تغسل المراحل تحته

بادرت بلبختها لمهسط جييع (٣)

يريد جوعا .

ثالثًا - قلب الحرف للتناسيب :

من قلب الحروف قوله - عليه الصلاة والسلام - « ارجعن مأزورات غير مأجورات » (٤) . والأصل موزورات - بالواو - لأنه من الوزر .

(٢) انظر الكتاب ٤ : ٣٦٢ .

(٣) (معرض) - بضم الميم وفتح العين والراء المشددة - هو اللحم الملقى في العرصة للجفاف ، والعرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع العراض والعرضات . (المراحل) جمع رجل وهو القدر من النحاس .

والشاهد في قوله (جييع) فان أصله جوع ، لأنه من الأجوف الراوي فبدلت الياء من الواو وهو جمع جائع .

ووجه ذلك أن العين شذبت باللام لقربها من الطرف ، فأعلت كما تعمل اللام ، فقلبت الواو الأخيرة ياء ، ثم قلبت الواو الأولى ياء وأدغمت الياء في الياء ، ومع كثرتة التصحيح أكثر منه نحو : نوم وصوم .

انظر الخصائص ٣ : ٢١٨ - المنصف ٢ : ٣ - الأشعموني

٤ : ٣٢٨ .

(٤) المذكور جزء من حديث ذكره ابن ماجه وتماهه « خرج

=

فهمز الأول لتناسب همز الثاني ومشاكلته ، اى ارجعن وعليكن
الوزر لا الأجر .

وقولهم : انى لآتية بالغداديا والعشايا هو لازدواج الكلام (٥) ،
كما قالوا : هنأتى الطعام ومرأى ، وانما هو أمراى (٦) .

رابعاً - قلب الواو المجاورة للطرف همزة :

من ذلك قولهم فى (أوول) أوائل ، بقلب الواو الثانية همزة ،
لقربها من الطرف ، فاذا بعدت عن الطرف لا تقلب نحو : طواويس .

وهذا موضع من مواضع ابدال الواو والياء همزة وجوبا ، وهو
أن تقع احدهما ثانى حرفى علة توسطت بينهما ألف شبه مفاعن سواء
كان حرفا العلة واوين نحو : أوائل جمع أول .

وأصل هذا الجمع (أوول) فأبدلت الواو الثانية همزة ، أم ياءين
نحو نيائف جمع نيف (وهو ما زاد على العقد الى العقد الثانى) من ناف
ينيف اذا زاد ، فيأؤه أصلية ، وقيل من ناف ينوف ، فأصله : نيوف ،
اجتمعت الواو والياء وسبقت الياء بالسكون ، فقلبت الواو ياء وأدغمت
الياء فى الياء .

أم كانا مختلفين نحو : سيائد جمع سيد ، وأصل الجمع سياود ،
ونحو يوائع جمع يائعة وأصل الجمع بوائع .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاذا نسوة جلوس فقال : ما يجلسكن ؟
قلن ننتظر الجنابة قال : هل تغسلن ؟ قلن لا ، قال : هل تحملن ؟ قلن
لا ، قال : هل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن لا ، قال : فارجعن مأزورات غير
مأجورات .

انظر سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١ : ٥٠٣ .
(٥) يقال : أتيتك غداة غد ، والجمع الغدوات مثل : قطاة
وقطوات .

وانظر الصحاح ٦ : ٢٤٤٤ .

(٦) هنأى ومرأى أى جعل عيشى مريثا ، أى حمدا المديشة
مستحسنا الا أن الهمزة حذفت منه عند اقترانه بهنأى طلبا للمشكلة .
وانظر حاشية حاشية الدسوقي على مغنى اللبيب ٢ : ٣٠٢ .

ويشترط فى بقاء هذه الهمزة أيضا أن تكون اللام حرفا صحيحا
غير همزة .

فان توسطت بينهما ألف شبه مفاعيل وجب تصحيح ثانى حرفى
العلة للبعده حينئذ عن الطرف ، كما فى طواويس جمع طاووس .

فلما كانت كل من الواو والياء قريبة من الطرف قلبتا همزة ، كما
لو وقعتا طرفين ، وذلك اذا تطرفت احدهما بعد ألف زائدة حقيقة نحو :
دعاء وسماء وبناء وفناء . والأصل : دعاو ، وسماو ، وبنائ ، وفنائ ،
فأبدلت الواو والياء فيهن همزة ، أو حكما بأن كان بعد احدهما تاء
تأنيث أو علامة تثنية عارضتان نحو : بناءة مؤنث بناء ، وكساءين
تثنية كساء (٧) .

خامسا - مجاورة الواو للضممة :
من ذلك قول جرير :

٢٣ - أحب المؤقدين الى مؤسسى
وجعدة اذا أضاءهما الوقود (٨)

(٧) راجع الأسمونى ٤ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، والتبيان فى اعراب
القرآن ١ : ٤٢٣ .

(٨) البيت - لجرير من قصيدة مدح بها هشام بن
عبد الملك الرواسى ، وموسى وجعدة : ولدا جرير ، وروى ابن جنى صدره
فى سر الصناعة " أحب المؤقدين " بصيغة افعال التفضيل ، فيكون
(أحب) مبتدأ مضافا الى (المؤقدين) بالجمع ، و (موسى) خبره ، وواه
فم، الخصائص وفى شرح تصريف المازنى وفى المحاسب " أحب
المؤقدان " فتسكون اللام فى جواب قسم محذوف و (حب) للمدح
و التعجب ، وأصلها حبب - بفتح العين - فعل متعد كقول غيلان
النهشلى :

فبه الله أه لا تضره ما حسنته ولا كان أدنى من عبيد ومشرقة .
ثم نقل الم، باب فعل - بالضم - للمدح للملاحق بنعم . و (المؤقدان)
فاعل حب ، (مؤسم وجعدة) هم المخصوص بالمدح و (الم) بمعنى عذير
و (أحب) ظرف متعلق بحب ، و (أضاءهما) بمعنى أثارهما وأظههما .
و بالتاء أضاء لازما ، يقال : أضاء الشرع بمعنى أشعه ، و الاسم الضياء .
و (الوقود) بالضم مصدر وقدت النار : أى اشتعلت ، و (الوقود)

وى بهمز (المؤقدين) و (مؤسى) ، حكاه ابن جنى فى سر الصناعة (٩) عن أبى على ، قال : وروى قنبل عن ابن كثير (بالمسوق) فهمة الواو (١٠) .

وجه ذلك أن الواو ، وإن كنت ساكنة فإنها قد جاورت ضمة الميم ، فصارت الضمة كأنها فيها ، فمن حيث همزت الواو فى نحو (أقتت) و (أجوة) ، لانضمامها كذلك كان همز الواو فى المؤقدين ومؤسى .

وقال فى المحتسب (١١) : همز الواو فى الموضعين جميعا من البيت . لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما فصارت الضمة كأنها فيهما .
والواو إذا انضمت ضما لازما فهمزها جائز نحو (أقتت) فى وقتت ، و (أجوة) فى وجوه (١٢) ، ونظائر ذلك كثير .

وقال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى (١٣) - بعد انشاد البيت :
(همز الواو الساكنة ، لأنه توهم الضمة قبلها فيها ، وإنما يجوز مثل هذا الغلط مذهب لسا يستهويهم من الشبه ، لأنهم ليست لهم قياسات يعتصمون

بافتتح الخطب الذى يوقد ، وقد روى هنا بالوجهين ، وأريد به هنا ووقود نار القرى ، كما هو عادة العرب ، يوقد الكريم منهم نارا على موضع عال ليهتدى بها الية الغريب والمسافر فيأتى الى قراه . والشاعر قد وصف ابنيه ونفسه بالسكرم ، حيث جعل محبته لهما من حين اشتهاهما بالكرم .

انظر شرح ديوان جرير ص : ١٧٤ - شرح شواهد الشافعية
٤ : ٤٢٩ .

(٩) انظر سر صناعة الاعراب ص : ٩٠ .

(١٠) من قوله تعالى « ردوها على فطلق مسحا بالمسوق والأصناق »
آية : ٣٣ من سورة ص .

(١١) ١ : ٨٤ .

(١٢) من مواضع ابدال الواو همزة جوازا ، أن تكون الواو مضمومة ضمة لازمة غير مشددة سواء كانت أول الكلمة نحو : أجوة جمع وحه ، وأصله وجوه ، أم لم تكن فى أول الكلمة نحو : أدور جمع دار ، وأتوز جمع نار ، والأصل : أدور وأتوز .

ونحو : سؤوق جمع ساق ، وقؤول مبالغة فى قائل .

(١٣) انظر المنصف ١ : ٣١١ .

بها ، وانما يميلون الى طبائعهم ، فمن اجل ذلك قرأ الحسن البصرى
« وما تنزلت به الشياطين » (١٤) لأنه توهمه جمع التصحيح نصرو :
الزيدون ، وليس منه .

وكذلك قراءته « ولا ادراكم به » (١٥) جاء به كأنه من درأته ،
وليس منه انما هو من دريت الشيء : علمت به .

وكذلك قراءة من قرأ « عادا لولى » (١٦) فهمز فهو خطأ منه بمنزلة
قول الشاعر :

لحب المؤقدان الى مؤسى

فهمز الواو الساكنة ، لأنه توهم الضمة قبلها فيها ، ولهذا الغلط
فى كلامهم نظائر فاذا جاء فاعرفه لتستعمله كما سمعته ولا تقس عليه .

(١٤) الشعراء : ٢١٠

(١٥) من قوله تعالى « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم
به » من الآية : ١٦ من سورة يونس ، وانظر معانى الفراء ١ : ٤٥٩ .
(١٦) من قوله تعالى « وانه اهلك عادة الاولى » آية : ٥٠ من
سورة النجم .

وفى البصر ٨ : ١٦٩ : وهمز قالون عين الاولى بدل الواو الساكنة ،
ولما لم يكن بين الضمة والواو حائل تخيل أن الضمة على الواو
فهمزها .

الفصل الرابع

القول بالمجاورة في القرآن الكريم

المبحث الأول

الجر على الجوار في العطف

ذهب كثير من العلماء الى أن خفض على الجوار لا يحسن في المعطوف ، لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة .

ويرى فريق آخر أن العطف على الجوار ليس بممتنع أن يقع في القرآن الكريم ، بل ان ذلك وارد كثير .
ومن ذلك قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » (١) .
فقد قرأ نافع وابن عامر ، والكسائي ، وحفص بالنصب ، وقرأ الباقون بالخفض (٢) .

ومن هنا اختلفت كلمة العلماء في توجيه قراءة جر (الأرجل) أيكون الجر بسبب مجاورة (الرءوس) المجاورة ، وان اختلف الحكم ، فيكون العطف على (الرءوس) من ناحية اللفظ والمعنى للغسل .
وهؤلاء هم الذين قالوا بجواز الجر على الجوار في العطف ، ومن باب أولى فهو جائز عندهم في النعت .

أم أن (الأرجل) معطوفة على (الرءوس) عطفا حقيقيا باللفظ والمعنى ، وأما وجوب غسل الرجلين فيفهم ويؤخذ من اللغة وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - والاجماع .
وهؤلاء هم الرافضون لظاهرة الجر على الجوار في القرآن الكريم سواء كان ذلك في العطف أم في النعت .

(١) من الآية : ٦ من سورة المائدة .
(٢) انظر الكشف ١ : ٤٠٦ .

فمن قال بالرأى الأول : الزجاج ، والنحاس ، وأبو حيان
والألوسي .

ومن قل بالرأى الثانى : الفراء ، وأبو عبيدة ، والأخفش ،
والعكبرى .

أولا - آراء المجيزين :

١ - قال أبو عبيدة (٣) فى مجاز القرآن : (وأرجلكم) مجرورة
بالمجرورة التى قبلها ، وهى مشتركة بالكلام الأول من المفسول .

والعرب قد تفعل هذا بالجوار ، والمعنى على الأول ، فكان موضعه :
واغسلوا أرجلكم (٤) .

وقال الأخفش (٥) فى معانى القرآن (٦) : « وأرجلكم » بالنصب ،
حيث رد الى الغسل فى قراءة بعضهم ، لأنه قال : « فاغسلوا
وجسومكم » .

وقال بعضهم : (وأرجلكم) على المسح ، أى وامسحوا بأرجلكم ،
وهذا لا يعرفه الناس . وقال ابن عباس : المسح على الرجلين يجرىء .

ويجوز الجر على الاتباع ، وهو فى المعنى الغسل ، نحو : هذا
جحر ضب خرب .

والنصب أسلم وأجود من هذا الاضطرار ، ومثله قول العرب :

أكلت خبزاً ولبناً ، واللبن لا يؤكل .

(٣) هو معمر بن المثنى ولد سنة ١١٠ هـ ، وتوفى بين سنة
٢٠٩ ، ٢١٣ .

(٤) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ .

(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة توفى ببغداد سنة ٢١٥ هـ .

(٦) انظر معانى القرآن ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

قال الشاعر :

٢٤ - ياليت زوجك قد غدا متقلدا سيفاً ورمحاً (٧)

وقال العكبري (٨) فى التبيان : (قريء (وأرجلكم) بالجبر وهو مشهور - أيضاً - كشهرة النصب وفيها وجهان :

أحدها - أنها معطوفة على (الرءوس) فى الاعراب ، والحكم مختلف ، فالرءوس ممسوحة ، والأرجل مغسولة وهو الاعراب الذى يقال فيه هو على الجوار . وليس بممتنع أن يقع فى القرآن لكثرتة .

والوجه الثانى - أن يكون جر الأرجل بجار محذوف تقديره : وافعلوا بأرجلكم غسلاً ، وحذف الجار وإبقاء الجر جائز .

قال الشاعر :

٢٥ - مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة

ولا ناعب الا يبسين غرابها (٩)

وقال زمير :

(٧) البيت لعبد الله الزبيري القرشي ، شاعر خبيث ، كان مؤذياً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلسانه ، ثم أسلم واعتذر إليه . والمعنى : متقلدا سيفاً وحاملاً رمحاً ، لأنه يقال : تقلد فلان سيفه ولا يقال : تقلد رمحه ، وإنما يقال : حمل رمحه .
انظر معانى الأخفش ١ : ٢٥٥ - معانى الفراء ١ : ١٢١ -
الأمالى الشجرية ٢ : ٣٢١ .
(٨) هو أبو البقاء عبد الله الخريز بن الحسين توفى ببغداد سنة ٦١٦ هـ .

(٩) قاله الأصوص الرياحى يهجو بنى يربوع يتسبهم الى الشؤم وقلة الصلاح والخير ، وأنهم لا يصلحون أمر العشيرة اذا ما فسد ما بينهم ، فغرابهم لا ينبع الا بالبين والفرقة .
والشاهد فيه حمل (ناعب) على المعنى ، أى ليسوا بمصلحين ولا ناعب .
انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ - الخزانة ٢ : ١٤٠ .

٢٦ - بدالى أنى لست مسدرك ما مضى

ولا سباق شيئا اذا كان جائيا(١٠)

فجر بتقدير الباء وليس بموضع ضرورة(١١) .

والزمخشري(١٢) وان لم يصرح فى هذه الآية بالجر على الجوار
الا أن ظاهر كلامه يفيد ذلك ، فقد قال فى الكشف : (فان قلت : فما
تصنع بقراءة الجر ودخولها فى حكم المسح ؟ قلت : الأرجل من بين
الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل يصب الماء عليها ، فكانت مظنة
الاسراف الذموم المنهى عنه . فعطفت على الثالث المسحوح لا يتمسح
ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها .

وقيل (الى الكعبين) فجاء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها
ممسوحة ، لان المسح لم تضرب له غاية فى الشريعة(١٣) .

أراء المائعين :

قال الزجاج(١٤) فى معانى القرآن(١٥) : (قريء وأرجلكم)
بالنصب ، وقد قرئت بالخفض ، وكلا الوجهين جائز فى العربية .

فمن قرأ بالنصب فالمعنى : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى
المرافق ، وأرجلكم الى الكعبين ، وامسحوا برءوسكم على التقديم
والتاخير ، والواو جائز فيها ذلك ، كما قال - جل وعز - « يا مريم
اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »(١٦) .

(١٠) استشهد به سيبويه على صحة الحمل على المعنى فان معناه :
لست بمدرك ولا سابق .

والمعنى : أن الانسان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ - ديوان زهير ص : ٢٨٧ .

(١١) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(١٢) هو محمود بن عمر جاد الله الزمخشري ، ولد بزمخشري بلد
بخوارزم توفى سنة ٥٣٨هـ .

(١٣) انظر الكشف ١ : ٣٢٦ .

(١٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السري ، ولقب بالزجاج ، لانه

كان يخرط الزجاج توفى ببغداد سنة ٣١٠هـ .

(١٥) انظر معانى القرآن واعرابه للزجاج ٢ : ١٦٧ وما بعدها .

(١٦) آل عمران : ٤٣ .

والمعنى : واركعى واسجدى ، لأن الركوع قبل السجود ،
ومن قرأ (وارجلكم) بالجر عطف على الرءوس ، وقال بعضهم :
نزل جبريل بالمسح والسنة الغسل (١٧) .

وقال بعض أهل اللغة : هو جر على الجوار .
فأما الخفض على الجوار فلا يكون فى كلمات الله .
ويجوز (وارجلكم) بالجر على معنى واغسلوا ، لأن قوله (الى
الكعبين) قد دل على ذلك كما وصفنا ، وينسق بالغسل على المسح
كقول الشاعر :

يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا (١٨)

المعنى : متقلدا سيفا وحاملا رمحا .
وكذلك قال الشاعر :
٢٧ - علفتها تبنا وماء باردا حتى شئت همالة عيناهما (١٩)
المعنى : وسقيتها ماء باردا .

وقل النحاس (٢٠) فى اعراب القرآن (٢١) : (ذهب الأخفش
رأبو عبيدة (٢٢) الى أن الخفض على الجوار ، والمعنى للغسل .

(١٧) يريد أن السنة هى التى بينت الغسل ، أما القرآن فجاء
بالمسح .
(١٨) البيت لعبد الله الزبيرى ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد
رقم (٢٤) .

(١٩) يروى قبل صدره لما حططت الرجل عنها واردا
وعلفتها : أطعمتها وقدمت لها ما تأكله - تبنا : هو قصب الزرع
بعد أن يداس - شئت : بمعنى بدت - همالة : صيغة مبالغة أى انهمرت
وقاضت به وكثر نزوله منها - الرجل : متاع المسافر - واردا : أى
موافيا لما قصدت اليه بسفرى وبألغا إياه .

انظر معانى الفراء ٣ : ١٢٤ - أوضح المسالك ٢ : ٥٦ .
(٢٠) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المصرى توفى سنة ٢٢٧هـ
بالقاهرة .

(٢١) انظر اعراب القرآن للنحاس ١ : ٤٨٥ .
(٢٢) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ .

قال الاخفش : ومثله « هذا جحر ضب خرب » وهذا القول غلط عظيم ونظيره الاقواء (٢٣) .

ومن أحسن ما قيل : أن المسح والغسل واجبان جميعا ، والمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض . والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب ، والقراءتان بمنزلة آيتين) .

وقال أبو حيان في البحر (٢٤) : (والظاهر من هذه القراءة اندراج الأرجل في المسح مع الرأس . وروى وجوب مسح الرجلين عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر الباقر ، وهو مذهب الامامية من الشيعة .

ومن أوجب الغسل تأول أن الجرح هو خفض على الجوار ، وهو تأويل ضعيف جدا ، ولم يرد الا في النعت حيث لا يلبس على خلاف فيه قد تقرر في العربية) .

وقال الألويسي (٢٥) : في روح المعاني (٢٦) : (قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحقق (وارجلكم) بنصب اللام .

وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم (وارجلكم) بخفض اللام .

ومن هنا اختلف الناس في غسل الرجلين ومسحهما .

قال الامام الرازي (٢٧) : نقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس ابن مالك وعكرمة والشعبي أن الواجب فيها المسح ، وهو مذهب الامامية .

(٢٣) هو اختلاف حركة الروي المطلق بالضم والكسر .

(٢٤) انظر البحر المحيط ٣ : ٤٣٧ .

(٢٥) هو أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ .

(٢٦) ٦ : ٧٣ وما بعدها الى ص : ٧٨ .

(٢٧) هو أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب المفسر المتكلم الأصولي توفي في سنة ٦٠٦ هـ .

وقال جمهور الفقهاء والمفسرين: فرضهما الغسل .

وجبة القائلين بالمسح قراءة الجر ، فانها تقتضى كون الأرجل معطوفة على الرؤوس فكما وجب المسح فيها وجب المسح على الأرجل .
وقول من قال : ان الواجب فى الأرجل الغسل - وانما جرت على الجوار - باطل من وجوه :

أولها - أن الجر على الجوار محدود من اللحن الذى قد يتحمل لأجل الضرورة فى الشعر ، وكلام الله تعالى يجب تنزيهه عنه .

وثانيها - أن الجر انما يصار اليه حيث حصل الأمن من الالتباس ، وفى الآية الأمن من الالتباس غير حاصل .

وثالثها - أن الجر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب .

ومن العلماء من ردوا قراءة النصب الى قراءة الجر ، فقالوا : انها تقتضى المسح أيضا ، لأن العطف حينئذ على الرؤوس لقريه فيتشركان فى الحكم ، وهذا مذهب مشهور للنحاة

ثم قال الامام (٢٨) : واعلم انه لا يمكن الجواب عن هذا الا من وجهين :

الأول - أن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل ، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس ، فكان الغسل اقرب الى الاحتياط ، فوجب المصير اليه ، وعلى هذا يجب القطع بأن غسل الأرجل يقوم مقام مسحها .

والثانى - أن فرض الأرجل محدود الى الكعبيين ، والتحديد انما جاء فى الغسل لا فى المسح .

والقراءتان متواترتان باجماع الفريقين بل باطباق أهل الاسلام

(٢٨) يعنى : الفخر الرازى ، وانظر التفسير الكبير ١٠ : ١٥٤ ، ١٥٥ .

كلهم • ومن القواعد الأصولية عند الطائفتين أن القراءتين المتواترتين إذا تعارضتا في آية واحدة فلهما حكم آيتين ، فلا بد لنا أن نسعى ونجتهد في تطبيقهما أولا مهما أمكن . لأن الأصل في الدلائل الاعمال دون الاهمال كما تقرر عند أهل الأصول •

ثم نطلب بعد ذلك الترجيح بينهما ، فإن لم يتيسر لنا الترجيح بينهما نتركهما ونتوجه الى الدلائل الأخرى من السنة •

وقد ذكر الأصوليون أن الآيات إذا تعارضت بحيث لا يمكن التوفيق تم الترجيح بينهما يرجع الى السنة ، وأن تعارضت السنة نرجع الى أقوال الصحابة وأهل البيت ، أو نرجع الى القياس عند القائلين بأن قياس المجتهد يعمل به عند التعارض •

فلما تأملنا في هاتين القراءتين في الآية وجدنا التطبيق بينهما بقواعدهما من وجهين :

الاول - أن يحمل المسح على الغسل كما صرح به أبو زيد الأنصاري (٢٩) وغيره من أهل اللغة ، فيقال للرجل إذا توضأ تمسح ، ويقال : مسح الله تعالى ما بك أي أزال عنك المرض ، ومسح الأرض المطر إذا غسلها •

فاذا عطفت الأرجل على الرؤوس في قراءة الجر لا يتعين كونها ممسوحة بالمعنى الذى يدعيه الشيعة •

واعترض على ذلك من وجوه :

أولها - أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة ، وقد فرق الله تعالى بين الأعضاء المغسولة والممسوحة ، فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحدا ؟

وثانيها - أن الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤوس ، وكان الفرض في الرؤوس المسح الذى ليس يغسل بلا خلاف - وجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، والا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز •

(٢٩) هو سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري كان كثير الرواية عن العرب ، وفواخره مشهورة توفى سنة ٢١٥ هـ •

وثالثها - أنه لو كان المسح بمعنى الغسل يسقط الاستدلال على الغسل بخبر أنه - صلى الله عليه وسلم غسل رجله ، لأنه على هذا يمكن أن يكون مسحها ، فسمى غسلا .

ورابعها - أن استشهاد أبي زيد بقولهم : تمسحت للصلاة لا يجدى نفعا ، لاحتمال أنهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ، ولم يجز أن يقولوا : تغسلت للصلاة ، لأن ذلك يوم الغسل ، قالوا بداه : تمسحت لأن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضا ، فتجاوزوا بذلك تعويلا على فهم المراد ، وذلك لا يقتضى أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل .

وأجيب عن الأول - بأننا لا ننكر اختلاف فائدة اللفظين لغة وشرعا ، ولا تفرقة الله تعالى بين المغسول والممسوح من الأعضاء ، لكننا ندعى أن حمل المسح على الغسل فى بعض المواضع جائز ، وليس فى اللغة والشرع ما ياباه ، على أنه قد ورد ذلك فى كلامهم .
وعن الثانى - بأننا نقدر لفظ امسحوا قبل أرجلكم - أيضا - وإذا تعدد اللفظ فلا بأس بأن يتعدد المعنى ولا محذور فيه .

وقد نقل شارح زبدة الأصول من الامامية أن هذا القسم من الجمع يبين الحقيقة والمجاز جائز بحيث يكون ذلك اللفظ فى المعطوف عليه بالمعنى الحقيقى ، وفى المعطوف بالمعنى المجازى .

وقالوا فى آية « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل » (٣٠) .

ان الصلاة فى المعطوف عليه بالمعنى الحقيقى الشرعى - وهو الأركان المخصوصة - وفى المعطوف بالمعنى المجازى وهو المسجد ، فإنه محل الصلاة .

وبذلك فسر الآية جمع من مفسرى الامامية وفقهائهم ، وعليه فيكون هذا العطف من عطف الجمل فى التحقيق ، ويكون المسح المتعلق بالردوس بالمعنى الحقيقى ، والمسح المتعلق بالأرجل بالمعنى المجازى .

(٣٠) النساء : ٤٣ .

ولا يشكل أن فى الآية حينئذ إيهاما - ويبعد وقوع ذلك فى
الإنزال - لانا نقول : ان الآية نزلت بعدما فرض الوضوء ، وعلمه - عليه
الصلاة والسلام - روح القدس اياه فى ابتداء البعثة بسنين ، فلا بأس
أن يستعمل فيها هذا القسم من الإيهام ، فان المخاطبين كانوا عارفين
بخفية الوضوء ولم تتوقف معرفتهم بها على الاستنباط من الآية .

ولم تنزل الآية لتعليمهم ، بل سوقها لبدال التيمم من الوضوء
والغسل فى الظاهر ، والغالب فيما بذكر لذلك عدم البيان المشيع .

وعن الثالث - بأن حمل المسح على الغسل لداع لا يستلزم حمل
الغسل على المسح بغير داع ، فكيف يسقط الاستدلال ؟ سبحانه الله تعالى
هذا هو العجب العجيب .

وعن الرابع - بأننا لا نسلم أن العدول عن تغسلت لإيهامه الغسل ،
فان تمسحت يوهم ذلك أيضا بناء على ما قاله من أن المغسول من الأعضاء
ممسوح أيضا ، سلمنا ذلك لكننا لم نقتصر فى الاستشهاد على ذلك ويكنى
مسح الأرض المطر فى الغرض .

الوجه الثانى - أن يبقى المسح على الظاهر ، وتجعل الأرجل
على تلك القراءة معطوفة على المغسولات ، كما فى قراءة النصب ، والجر
للمجاورة .

وقد سبق رد هذا قول عند بداية كلام الألوسى المتقدم .

وبعد ... فانا أرى أن ما ذهب اليه الزجاج والنحاس وأبو حيان
والألوسى - من وجوب تنزيله كلام الله تعالى عن مثل ظاهرة الجر على
الجوار فى العطف - هو الحق الذى يجب أن نتبعه ، فان القرآن الكريم
ما ينبغى أن يقال فى شأنه مثل ذلك .

ثم ان الجر على الجوار انما يصادر اليه حيث حصل الأمن من
اللبس ، وفى الآية الأمن من اللبس غير حاصل ، فقد يوهم بأن الأرجل
ممسوحة لا مغسولة .

وجمهور العلماء على أن الجر على الجوار انما يكون بدون حرف

العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب ، إذ أن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة •

وعلى ذلك فإن قراءة من قرأ (وأرجلكم) بجر اللام ، إنما هي بالعطف على قوله (برءوسكم) على أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل •
وقال أبو زيد الأنصاري : المسح خفيف الغسل •

وكان أبو زيد من الثقات الأثبات في نقل اللغة ، وهو من شيوخ سيبويه •

والذي يدل على ذلك قولهم : تمسحت للصلاة أى توضأت والوضوء يشتمل على ممسوح ومغسول •

والسر في ذلك أن المتوضيء لا يقنع بصب الماء على الأعضاء حتى يمسحها مع الغسل ، فلذلك سمي الغسل مسحاً ، فالرأس والرجل ممسوحان ، إلا أن المسح في الرجل المراد به الغسل لبيان السعة ، ولولا ذلك لكان محتملاً •

والذي يدل على أن المراد به الغسل ورود التحديد في قوله (الى الكعبين) والتحديد إنما جاء في المغسول لا في الممسوح •

وقيل بالجر على الجوار في العطف في « وحور عين » من قوله تعالى :

« والسابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سرن موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين » (٣١) •

في النشر (٣٢) : قرأ الجمهور برفع (وحور عين) وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بخفض الاسمين •

(٣١) آية : ١٠ - الى ٢٢ من سورة الواقعة •
(٣٢) انظر طيبة النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٥٤ •

وبسبب قراءة الخفض وقع الخلاف بين العلماء ، فمنهم من قال :
ان قوله تعالى (وحرر عين) بالجر معطوفة على قوله (بأكواب) فيكون
الجر على الاتباع في اللفظ ، وإن اختلف المعنى ، وهذا هو الجر على
الجوار ، ومن ذهب الى ذلك الفراء والعكبري .

ومنهم من قال بعطف (وحرر عين) على (جنات) فيكون العطف
باللفظ والمعنى ، وعليه فالمسألة ليست من باب المجاورة .

ومن هؤلاء الزمخشري في أحد قوليه ، والألوسي .

أولا - القائلون بالعطف على اللفظ دون المعنى :

قال الفراء في معاني القرآن : قرأ أصحاب عبد الله (وحرر عين) .
بالجر ، وهو وجه العربية ، وإن كان أكثر القراء على الرفع ، لأنهم
هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهن ، فرفعوا على قولك : ولهم
حور عين ، أو عندهم حور عين .

والخفض على أن تتبع آخر الكلام بأوله ، وإن لم يحسن في آخره
ما حسن في أوله ، أنشدني بعض العرب :

٢٨ - إذا ما الغاينيات برزن يوما

وزججن الحواجب والعيونا (٣٣)

- ٣٣ -

فالعين لا تزجج وإنما تكحل ، فردها على الحواجب ، لأن المعنى
يعرف .

وأنشدني آخر :

ولقيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا (٣٤)

(٣٣) البيت للراعي النميري ، وانظر الدرر اللوامع ١ : ١٩١ .

(٣٤) يروي الشطر الأول هكذا

يا ليت زوجك قد غدا

والبيت لعبد الله الزبيري ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد

رقم (٢٤) .

وانشدنى بعض بنى دبير :

علفتها تبنيا ومساء باردا حتى شئت همالة عيناها (٣٥)

والماء لا يعتلف ، انما يشرب ، فجعله تابعا للتبن .

ولقد كان ينبغى لمن قرأ « وحوور عين » بالرفع - ان يقول (وفاكهة ولحم طير) ، لأن الفاكهة واللحم لا يطاف بهما ، فلا يطاف الا بالخمير وحدها (٣٦) .

وقال العكبرى فى التبيان عند اعراب هذه الآية (قوله تعالى « وحوور عين » على قراءة الجر معطوف على قوله (بأكواب وأباريق) . والمعنى مختلف اذ ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحوور عين) .

ثانيا - القائلون بالعطف على اللفظ والمعنى :

قال الزمخشري فى الكشف (٣٧) : (قرئ (وحوور عين) بالرفع على وفيها حور عين ، وبالجر عطفا على (جنات النعيم) كانه قال : هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحوور .

او على (أكواب) لأن معنى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب) ينعمون بأكواب) .

وقال الألوسى فى روح المعانى (٣٨) : (وقرأ السلمى والحسن والأعمش والكسائى (وحوور عين) بالجر .

وخرج على العطف على (جنات النعيم) وفيه مضاف محذوف ، كانه قيل : فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور .

وذهب الى العطف المذكور الزمخشري ، وتعقبه أبو حيان فقال : فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعبءه ببعض ، وهو فهم أعجمى . وليس كما قال كمالا يخفى) .

(٣٥) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٧) .

(٣٦) انظر معانى القرآن للزراء ٣ : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣٧) انظر الكشف ٤ : ٥٤ .

(٣٨) انظر روح المعانى ٢٧ : ١٣٨ .

وما ذهب اليه الزمخشري والألوسی من أن قوله تعالى (وحوور عين)
- بالجر - قد عطف على قوله (جنات النعيم) هو الراجع .

وذلك لما يأتي :

أولا - أن العطف في مثل هذه الحالة يكون باللفظ والمعنى ، وعليه
فلسنا بحاجة الى تقدير وتأويل .

ثانيا - أن العطف على قوله تعالى (بأكواب وأباريق) إنما يكون
في اللفظ دون المعنى ، لأن الولدان لا يطوفون بهن طوافهم بالأكواب .

ثالثا - إذا كان الجمهور قد رفضوا الجر على الجوار في قوله
(وأرجلكم) .

من قوله تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبيين)(٣٩)
وذلك بسبب وجود حاجز بين المعطوف والمعطوف عليه وهو الواو .

فمن باب أولى يكون عطف (وحوور عين) - بالجر - على (بأكواب
وأباريق) أشد امتناعا ، إذ أن الفاصل هنا أكثر من جملة ، وهو مانع من
الجر على جوار ، أو على الأقل يضعفه .

ما يندرج تحت حكم المجاورة :

مما يعطى حكم المجاورة ، صرف ما لا ينصرف للتناسب ومن ذلك
قوله تعالى :

« أنا اعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرا » (٤٠) .

قال النحاس(٤١) : (والحجة لمن نون (سلاسلًا) ما حكاه الكسائي
وغيره من الكوفيين أن العرب قد تصرف كل ما لا ينصرف إلا أفعل
منك(٤٢) فهذه حجة .

(٣٩) من الآية : ٦ من سورة المائدة .

(٤٠) آية : ٤ من سورة الانسان .

(٤١) انظر اعراب القرآن للنحاس ٣ : ٥٧٣ .

(٤٢) يريد (أفعل التفضيل) .

وحجة أخرى أن بعض أهل النظر يقول : كل ما يجوز في الشعر فهو جائز في الكلام ، لأن الشعر أصل كلام العرب .

وحجة ثالثة - أنه لما كان إلى جانبه جمع ينصرف فأتبع الأول الثاني) .

وقال الزمخشري (٤٣) : (وقرىء (سلاسل) بالتثنية ، وفيه وجهان : أحدهما - أن تكون هذه النون بدلا من حرف الإطلاق ، ويجرى الوصل مجرى الوقف .

والثاني - أن يكون صاحب قراءة التثنية ممن ضرى برواية الشعر ، ومن لسانه على صرف غير المنصرف) .

وقال الألويسي (٤٤) : (وقرىء نافع والكسائي وأبو بكر والأعمش (سلاسل) بالتثنية وصلا ، وبالألف البديله منه وقفا .

وبعد ذلك اعترض على الزمخشري الذي جاوز وجهين في التثنية :

أحدهما - أن تكون هذه النون بدلا عن حرف الإطلاق ، ويجرى الوصل مجرى الوقف .

والثاني - أن يكون صاحب القراءة ممن ضرى برواية الشعر ، ومن لسانه على صرف غير المنصرف .

وقد ضعف الألويسي الوجهين السابقين :

أما الأول - فإن الإبدال من حروف الإطلاق في غير الشعر قليل كيف وضم إليه إجراء الوصل مجرى الوقف .

وأما الثاني - ففيه تجويز القراءة بالتثنية دون سداد وجهها في العربية .

والوجه : أنه لقصد الازدواج والمشاكلة) .

(٤٣) انظر الكشف ٤ : ١٩٥ .

(٤٤) انظر روح المعاني ٢٩ : ١٥٣ .

المبحث الثاني

الجر على الجوار فى النعت

الجر على الجوار فى النعت فى القرآن محل خلاف - أيضا - بين العلماء ، فمنهم من أجازة ، ومنهم من منعه .

فمن أجاز : الفراء والعكبرى ، ومن منع ابن جنى والنحاس والألوسى .

ومن الآيات التى ظاهرها يفيد الجر على الجوار فى النعت قوله تعالى :

« والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لکم من
اله غيره ولا تنقصوا المکیال والمیزان انى اراکم بخیر انى
اخاف علیکم عذاب یوم محیط » (١) .

قال العکبرى (٢) : (ومن الجوار فى الصفات قوله « عذاب یوم
محیط » والیوم لیس بمحیط ، وانما المحيط العذاب) .

وقال الألوسى (٣) : (والحاصل أن احاطة الیوم تدل على احاطة کل
ما فیہ من العذاب ، وأما احاطة العذاب على قوم فقد یكون بأن یصیب
کل فرد منهم نوعا من أنواع العذاب .

وأما فیما نحن فیہ ، فیدل على احاطة أنواع العذاب المشتمل علیها
الیوم بکل فرد . ولا شک فى ابلغیة هذا .

وقال بعض المحققین فى بیان ابلغیة : ان الیوم زمان لجمیع

(١) هود : ٨٤ .

(٢) انظر التبیان ١ : ٤٢٣ .

(٣) انظر روح المعانی ١٢ : ١١٥ .

الحوادث ، فيوم العذاب زمان جميع أنواع العذاب الواقعة فيه ، فإذا كان محيطا بالمعذب فقد اجتمع أنواع العذاب له •
ومن ذلك قول الشاعر :

٢٩ - ان المروءة والسماحة والنسبى

فى قبسة ضسريت على ابن المشسرج

فان وقوع العذاب فى اليوم ، كوجود الأوصاف فى القبة •

وجعل اليوم محيطا بالمعذب كضرب القبة على المدوح ، فكما أن هذا كناية عن ثبوت تلك الأوصاف له كذلك ذاك كناية عن ثبوت أنواع العذاب للمعذب) •

وقال الزمخشري(٤) : (فان قلت : وصف العذاب بالاحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها ؟

قلت : بل وصف اليوم بها ، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا احاط بمعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه) •

وقال تعالى « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبُوا على شئء ذلك هو الضلال البعيد »(٥) •

قال الفراء(٦) : (وقال تعالى « فى يوم عاصف » فجعل العصف تابعا لليوم فى أعرابه ، وإنما العصف للريح ، وذلك جائز على جهتين :

أحدهما - أن العصف وان كان للريح فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز أن تقول : يوم عاصف ، كما تقول : يوم بارد ، ويوم حار ، وقد أنشدنى بعضهم :

(٤) انظر الكشاف ٢ : ٢٨٥ •

(٥) آية : ١٨ من سورة إبراهيم •

(٦) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٣ وما بعدها •

٣٠ - يومين غيمين ويوما شمسا

فوصف اليومين بالغيمين ، وانما يكون الغيم فيهما •
والوجه الآخر - أن يريد في يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح ،
لأنها قد ذكرت أول الكلمة •

قال الشاعر :

فيضحك عرفان الدروع جلودنا

إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف
يريد كاسف الشمس فهذان وجهان •

وأن نويت أن تجعل (عاصف) من نعت الريح خاصة ، فلما جاء
بعد اليوم أتبعته أعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض
الخفض إذا أشبهه •

وقال العكبري (٧) : (ومن الجوار في الصفات قوله تعالى « في
يوم عاصف » واليوم ليس بعاصف ، وانما العاصف الريح) •

وقال النحاس (٨) : (قوله تعالى « في يوم عاصف » على النسب
عند البصريين بمعنى ذى عاصف ، ثم ذكر قول الفراء المتقدم ، وجوازه
أن يكون (عاصف) صفة ليوم بمعنى في يوم عاصف ، أو صفة للريح
خاصة ، فلما جاء بعد اليوم أتبعته أعراب اليوم وذلك من كلام العرب أن
يتبعوا الخفض الخفض •

وبعد ذلك رد النحاس على كلام الفراء المتقدم قائلا : هذا مما
لا ينبغي أن يحمل كتاب الله - جل وعز - عليه •

وقد ذكر سييويه أن هذا من العرب غلط ، واستدل بأنهم إذا ثنوا
قالوا : هذان جحرا ضب خريان ، لأنه قد استبان بالتثنية والتوحيد) •

(٧) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ •

(٨) انظر أعراب القرآن للنحاس ٢ : ١٨١ •

وقال الألوسي^(٩) : (وقيل : ان (عاصف) صفة (الرياح) الا انه جر على الجوار .

- وفيه انه لا يصح وصف الرياح به ، لاختلافهما تعريفاً وتذكيراً .
- ومن الجر على الجوار فى الصفة قوله تعالى :
- « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (١٠) .

وقد اختلفت كلمة الفراء حول هذه الآية ، فعندما كان فى معرض الحديث عن معنى قوله تعالى «اشتدت به الرياح فى يوم عاصف» (١١) أجاز جر (عاصف) على الجوار ، وان كانت صفة للرياح ، وأضاف قائلاً : ومما يرويه نحويونا الأولون أن العرب تقول : هذا حجر ضب خرب بجر (خرب) والوجه الرفع .

ثم استدل على ذلك بقوله : وقد ذكر عن يحيى بن وثاب انه قرأ « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » فخفض (المتين) و به اخذ الأعمش ، والوجه أن يرفع (المتين) (١٢) .

وفهم من استدلال الفراء المتقدم انه أجاز أن يكون (المتين) بالجر صفة لقوله تعالى (الرزاق) وكان حقها الضم الا انها جرت مجاورتها المجرور .

وعندما تكلم عن قوله تعالى « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وجدناه لم يتعرض لظاهرة المجاورة ، ووجه قراءة جر (المتين) على انها صفة لقوله تعالى (القوة) .

قال الفراء فى معانى القرآن (١٣) : (قرأ يحيى بن وثاب (المتين) بالمخفض جعله من نعت (القوة) وان كانت انشئ فى اللفظ ، فانه ذهب الى الحيل والى الشيء المقتول .

-
- (٩) انظر روح المعانى ١٣ : ٢٠٤ .
 - (١٠) آية : ٥٨ من سورة الذاريات .
 - (١١) من الآية : ١٨ من سورة ابراهيم .
 - (١٢) انظر معانى الفراء ٢ : ٧٥ .
 - (١٣) انظر معانى الفراء ٣ : ٩٠ .

أنشدنى بعض العرب :

٣١ - لكل دهر قد لبست أثوبا من ربطة واليمنة المعصبا (١٤)

فجعل المعصب نعتا لليمنة ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن اليمنة
ضرب وصنف من الثياب فذهب اليه) .

وقال ابن جنى (١٥) : (قرأ يحيى والأعمش « ذو القوة المتين »
ويحتمل أمرين :

أحدهما - أن يكون وصفا للقوة فذكره على معنى الحبل ، يريد
قوى الحبل ، لقوله « فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » (١٦) .
والآخر - أن يكون أراد الرفع وصفا للرزاق ، الا انه جاء على لفظ
القوة لجوارها اياه على قولهم : هذا جحر ضب خرب .

وعلى أن هذا فى النكرة - على ما فيه - أسهل منه فى المعرفة ،
وذلك أن النكرة أشد حاجة الى الصفة ، فيقدر قوة حاجتها اليها بتشبيث
بالاقرب اليها ، فيجوز هذا جحر ضب خرب ، لقوة حاجة النكرة الى
الصفة .

فأما المعرفة فتقل حاجتها الى الصفة فبسبب ذلك لا يسوغ التشبيث
بما يقرب منها لاستغنائها فى غالب الأمر عنها ، الا ترى أنه قد كان
يجب الا توصف المعرفة ، لكنه لما كثرت المعرفة تداخلت فيما بعد ،
فجاز وصفها ، وليس كذلك النكرة ، لأنها فى أول وضعها محتاجة الى
الصفة لابهامها .

(١٤) قاله معروف بن عبيد الرحمن ، وقيل : حميد بن ثور ،
ويروى عجزه :

حتى اكتسى الرأس قنساعا اشهبها
و (الربطة) الملاءة اذا كانت قطعة واحدة . والمعصب : المعمم الذى
يحيط بالرأس .

وانظر الأشمونى ٤ : ١٢٢ .

(١٥) راجع المحتسب ٢ : ٢٨٩ .

(١٦) من الآية : ٢٥٦ من سورة البقرة .

فن قلت : ان (القوة) مؤنثة ، و (المتين) مذكر فكيف جاز أن تجريها عليها على الخلاف بينهما ؟ !

قيل : قد تقدم أن القوة هنا انما الفهوم منها الحبل على ما تقدم ، فكأنه قال : ان الله هو الرزاق ذو الحبل المتين وهذا واضح .

وأيضا فان (المتين) فعيل ، وقد كثر مجيء فعيل مذكرا وصفا للمؤنث ، كقولهم : حلة خصيف (١٧) ، وناقاة حسير (١٨) .

وقال الألويسي (١٩) : (وقرأ الأعمش وابن وثاب (المتين) بالجر . وخرج على أنه صفة (القوة) .

وجاز ذلك مع تذكره ، لتأويلها بالافتداز ، أو لكونه على زنه المصادر التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لأجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول) .

وبعد ... فقد عرضنا أقوال العلماء فيما يتعلق بالجر على الجوار في النعت ، وعرفنا أن منهم من أجاز ، ومنهم من منع .

وانا أؤيد وأرجح رأي من منع على أساس ان الجر على الجوار لا ينبغي أن يكون في كلمات الله - عز وجل - .

وأيضا فان المعنى يكون واضحا وظاهرا من غير اللجوء الى مثل هذه الظاهرة ، ففي الآيات المتقدمة اذا جعلنا (محيط) في الآية الأولى صفة لقوله تعالى (يوم) فان الكلام يكون صحيحا ، بل ان ذلك أبلغ من جعله صفة للعذاب ، كما تقدم .

وكذا يصح لنا أن نجعل (عاصف) في الآية الثانية صفة لقوله (يوم) فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، أو أن يجعل (عاصف) على النسب بمعنى ذي عاصف .

(١٧) حلة خصيف : ذات لونين : أبيض وأسود .

(١٨) ناقاة حسير : مجعدة .

(١٩) انظر روح المعاني ٢٧ : ٢٤ .

وفى الآية الثالثة يصح المعنى بجعل (المقين) على قراءة الجر صفة لقوله تعالى (القوة) على أن (القوة) بمعنى الحبل ، أو بمعنى الاقتدار ، أو كونه من الأوصاف التى يستوى فيها الذكر والمؤنث ، أو لأجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول .

وبالإضافة الى ما تقدم نجد أن (الريح) معرفة ، و (عاصف) نكرة ، والمعرفة لا توصف بنكرة .

المبحث الثالث

الجوار بين الواو والضمة

يترتب على مجاورة الواو للضمة التي قبلها قلب الواو همزة - جوازا - على تقدير أن هذه الواو لما جاورت المضموم فكأن الضمة فيها • والنحاة يبدلون من الواو المضمومة همزة ، كما قالوا في وجوه أجوه ، وهذا قياس نحوي محل اتفاق بين جمهور العلماء ، فما جاء منه في القرآن يكون مقبولا وسائغا •

ومن الآيات التي وردت في ذلك :

قوله تعالى :

« الذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة

هم يوقنون » (١) •

قال الزمخشري (٢) : (قرأ أبو حية النميري (يوقنون) بالهمزة ، جعل الضمة في جار الواو ، وكأنها فيه ، فقلبها قلب واو (وجوه)) •

وقال أبو حيان (٣) : (قرأ الجمهور (يوقنون) بواو ساكنة بعد الياء ، وهي مبدلة من ياء ، لأنه من أيقن •

وقرأ أبو حية النميري بهمزة ساكنة بدل الواو ، وذكر أصحابنا أن هذا يكون في الضرورة • ووجه هذه القراءة بأن هذه الواو لما جاورت المضموم فكأن الضمة فيها ، وهم يبدلون من الواو المضمومة همزة فقد

(١) آية : ٤ من سورة البقرة •

(٢) الكشف ١ : ١٣٨ •

(٣) البحر ١ : ٤٢ •

قالوا فى وجوه و وقتت : أجوه و اقتت ، فأبدلوا من هذه همزة ان قدروا
الضممة فيها) .

وقال الألوسى(٤) : (وقرأ النميرى (يؤقنون) بهمزة ساكنة بدل
الواو . وشاع عندهم أن الواو اذا ضمت ضمة غير عارضة ، كما فصل
فى العربية يجوز ابدالها همزة ، كما قيل فى وجوه جمع وجه (أجوه) .

فلعل الابدال هنا مجاورتها للمضموم فأعطيت حكمة) .
ومن ذلك قوله تعالى :

« ردها على فطرق مسح بالسوق والأعناق » (٥) .

قال الزمخشري(٦) : (من نرا (بالسوق) فقد جعل الضمة فى السين
كأنها فى الواو للتلاصق ، كما قال الشاعر :

أحب المؤقدين الى مؤسى(٧)

وقال الألوسى(٨) (قرأ ابن كثير (بالسوق) بهمزة ساكنة ، قال
أبو على : وهى ضمنية لكن وجهها فى القياس ان الضمة لما كانت تلى
الواو قدر انها عيلها كما يفعلون بالواو المضمومة حيث يبدلونها همزة .
ووجهها من القياس أن أباحية النميرى كان يهمز كل واو ساكنة
قبلها ضمة) .

وأنا أرى أن همز الواو فى المواضع المتقدمة جائز ومتفق مع القياس،
وهذا ما ذهب اليه الجمهور ، فلعل الابدال هنا بسبب مجاورة الواو
الضممة وكانوا ينشدون فى هذا المعنى قول الشاعر :

(٤) انظر روح المعانى ١ : ١٢٢ .

(٥) آية : ٣٣ من سورة ص .

(٦) انظر الكشف ٢ : ٣٧٤ .

(٧) المذكور صدر بيت تقدم الكلام عليه عند الشاهد رقم (٢٣) .

(٨) انظر روح المعانى ٢٣ : ١٩٨ .

٣٢ - قد يؤخذ الجار يظلم الجار(٩)

وبعد ٠٠٠ فأرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء هذا الموضوع
حقه من البحث والمناقشة ، فان أكن كذلك فيتوفيق الله ، وان تكن الأخرى
فحسبى في ذلك أنتى بشر أطمع في رحمة الله ، اذه نعم المولى ونعم
المجيب .

(٩) المذكور رجز أنشده أبو على وقال في الخصائص ٢ : ١٧١
(يحكى أن أعرابيا أراد امرأة له ، فقالت له : انى حائض ، فقال فأتين
الهنّة الأخرى ، فقالت له اتق الله ، فقال :
كلا و رب البيت ذى الاستار لأهتكن خلق الحتار
قد يؤخذ الجار بجرم الجار
والهنّة : المرأة - الحتار : حلقة الدبر .

فهرس الشواهد الشعرية

رقم الشاهد :

- ٣١ - لكل دهر قد لبست أثوبا
من ربطة واليمنة العصبيا
- ٨ - يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب
- ٢٩ - ان المروءة والسماحة والندى
فى قبلة ضربت على ابن الحشرج
- ١٣ - كأنما ضربت قدام أعينها
قطننا بمستحصد الأوتار محلوج
- ٢٤ - يا ليت زوجك قد غدا
متقلدا سيفا ورمحا
- ٢٣ - أحب المؤمنين الى موسى
وجعدة اذا أضاءهما الوقود
- ٦ - فجئت اليه والرماح تنوثة
كوقع الصياح فى النسيج الممدد
- فدافعت عنه الخيل حتى تبددت
وحتى علانى حالك اللون أسود
- ٢١ - انارة العقل مكسوف بطوع هوى
وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا
- ١٢ - لعب الرياح بها وغيرها
بعدى سسوافى السور والقطر

رقم الشاهد :

- ١٧ - لما أتى خبر الزبير تضعضعت
سور المدينة والجبال الخشع
- ٢٢ - ومعرض تغلى المراحل تحفه
بادرت طبختها لرهط جيع
- ٢ - ويضحك عرفان الدروع جلودنا
إذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف
- ٩ - السالك الثغرة اليقظان كالثها
مشى الهلوك عليها الخيل الضل
- ٧ - كأن أبانا فى عسراذين وبله
كبير الناس فى يصاد مزمل
- ١٤ - فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى - ولم أطلب - قليل من المال
- ١٠ - حتى تهجر فى الرواح وماجها
طلب المعقب حقه المظلوم
- ١٥ - ولكن نصفاً لو سببت وسبني
بنو عبد شمس من مناف وهاشم
- ١٨ - وتشرق بالقول الذى قد انعته
كما شرقت صدر القناة من الدم
- ١٩ - مشين كما اهتزت رماح تسفحت
أعاليها من الرياح النواسم
- ٢٠ - جادت عليه كل عين ثرة
فتركـن كل حـديقة كالدريم
- ١١ - قد كنت داينت بها حسنا
مخافة الافلاس والليانا

٢٨ - اذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا

٢٥ - مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعيب الا ببين غمراها

٥ - على هطالهم منهم يبيوت
كان العنكبوت هو ابتناها

٢٧ - علفتها تدنا وماء باردا
حتى شئت همالة عينها

٢٦ - بدالى انى لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئا اذا كان جائيا

٣ - فايكم وحيمة بطن واد
هموز النساب ليس لكم بسى

١ - وكنت اذا جارى دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق متزى

١٦ - ولكنما أسعى لمجد مؤثـل
وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالى

انصاف الابيات

٣٢ - قد يؤخذ الجار بظلم الجار

٣٠ - يومين غيمين ويوما شمسا

٤ - كان نسج العنكبوت الرمل

مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم :
- ٢ - اعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - تحقيق در زهير غزالي زاهد - مطبعة العاني - بغداد .
- ٣ - الأمالي الشجرية - دار المعرفة - بيروت .
- ٤ - الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين - تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ١٩٨٢م .
- ٥ - البحر المحيط لأبي حيان .
- ٦ - التبيان في اعراب القرآن لأبي البقاء العكبري - تحقيق محمد علي البيحاوي - مكتبة الحلبي .
- ٧ - تفسير روح المعاني للأوسى - بيروت - احياء التراث العربي .
- ٨ - تفسير القرطبي .
- ٩ - حاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية - مطبعة الحلبي .
- ١٠ - الخصائص لابن جني - تحقيق محمد علي النجار - دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت .
- ١١ - دراسات لاسلوب القرآن الكريم تأليف الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة - مطبعة السعادة .
- ١٢ - ديوان الأعشى - طبعة بيروت .
- ١٣ - ديوان الحطيئة - شرح أبي سعيد السكري - بيروت .
- ١٤ - ديوان دريد بن الصمة - تحقيق - محمد خير البقاي - مكتبة دار قتيبة ١٩٨١م .

- ١٥ - ديوان ذى الرمة - الطبعة الأولى .
- ١٦ - ديوان العجاج - تحقيق - عبد الحفيظ السلطى - دمشق .
- ١٧ - ديوان الغرزدق - المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٨ - ديوان لبيد - بيروت ١٩٦٦ م .
- ١٩ - ديوان الهذليين - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٥ م .
- ٢٠ - سر صناعة الاعراب لابن جنى النحوى - تحقيق - مصطفى السقا وزملائه - الطبعة الأولى .
- ٢١ - شذور الذهب فى معرفة كلام العرب - لابن هشام - تحقيق - الشيخ عبد المتعال الصعدي - مكتبة صبيح .
- ٢٢ - نرح أبيات سيبويه السيرافى - تحقيق - محمد على سلطاني - بيروت .
- ٢٣ - شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - نسخة مصورة على الميكروفيلم - موجودة فى المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) .
- ٢٤ - شرح ديوان ج. زير تاييف - محمد اسماعيل الصاوى - دار الأندلس - بيروت .
- ٢٥ - شرح ديوان زهير - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٤٤ م
- ٢٦ - شرح الرضى لشواهد الشافعية - القسم الثانى - تحقيق - محمد نور الحسن وزميلييه - دار الكتب العلمية - لبنان .
- ٢٧ - شرح الرضى لكافية ابن الحاجب - لبنان .
- ٢٨ - شرح الأندلساء التسع المشهورات للأنحاس - تحقيق - أحمد الخراط - طبعة بغداد .
- ٢٩ - شرح الكافية الشافعية لابن مالك - تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدى - مركز البحث العلمى - جامعة أم القرى - مكة .

- ٣٠ - الصحاح للجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .
- ٣١ - الكتاب لسيدويه - تحقيق - ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين
الطبعة الأولى .
- ٣٢ - الكشف للزمخشري - دار المعرفة - لبنان .
- ٣٣ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - لمكي بن
أبي طالب - تحقيق الدكتور محي الدين رمضان - مطبوعات
مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ٣٤ - مجاز القرآن لأبي عبيدة - تحقيق الدكتور محمد فؤاد - مكتبة
دار الفكر .
- ٣٥ - المحتسب في تبیین وجوه القراءات لابن جنى - تحقيق على
النجدي ناصف وزميليه - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
- ٣٦ - معانى القرآن للاخفش - تحقيق الدكتور فائز فارس .
- ٣٧ - معانى القرآن المفراء - مطبعة عالم الكتب - بيروت .
- ٣٨ - معانى القرآن واءرابه للزجاج - تحقيق الدكتور عبد الجليل
شلبى - مشروع احياء التراث الاسلامى .
- ٣٩ - مفنى اللبيب لابن هشام - تحقيق الشيخ محمد محيى الدين
عبد الحميد .
- ٤٠ - المقتضب للمبرد - تحقيق الأستاذ أحمد عبد الخالق عضيمة
عالم الكتب - بيروت .
- ٤١ - المنصف (شرح تصريف المازنى) لابن جنى - تحقيق ابراهيم
مصطفى وعبد الله أمين الطبعة الأولى .
- ٤٢ - النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - المكتبة التجارية
الكبرى .
- ٤٣ - همع الهوامع - شرح جمع الجوامع للسيوطى - تحقيق -
عبد العال سالم مكرم - دار البحوث العلمية الكويت .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	١ - المقدمة
٧	٢ - التمهيد
٩	٣ - الفصل الأول : موقف العلماء من المجاورة
١٧	٤ - الفصل الثاني : المجاورة فى الدراسات النحوية
٤٩	٥ - الفصل الثالث : المجاورة فى المسائل التصريفية
٥٧	٦ - الفصل الرابع : المجاورة فى القرآن الكريم
٨٥	٧ - فهرس الشواهد الشعرية
٨٩	٨ - ثبت بمراجع البحث

دار الثقافة للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل صدقي - الفجالة
تليفون ٩١٦٠٧٦ القاهرة

